عدد ٧



مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السابع	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٣ وفي جوان ١٩٤٤	المجلد الخامس

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المدير

محمد الشاذلي ابن القاضي

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة .

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس . تليفون ٤٩-٢٦

حساب مستمر بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

الثمن ١٠ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط رقم ٥٧ ـ تونس

المجلد الخامس　　　　**فهرس العدد**　　　　الجزء السادس



مجلة علمية أدبية اخلاقية

تصدرها هيئة من مدرسي جامع الزيتونة

الجزء السابع	تونس في جمادى الثانية ١٣٦٣ وفي جوان ١٩٤٤	المجلد الخامس

اللغة العربية

واقتراح جامعة نقابات التعليم لشمال افريقيا

نشرت بعض الصحف المحلية الاقتراحات التي قررها مؤتمر نقابات التعليم الذي انعقد بعاصمة الجزائر وهي تتضمن فيما يخص تونس النقط التالية :

يقترح المؤتمر ان تكون كل لائحة اصلاح تعليم المسلمين - مسلمي تونس - مبدؤها واساسها ما وقع تقريره في بلاد الجزائر مع امكان مراعاة الظروف السياسية الخاصة بالبلاد . وان لا يقع في اية حالة البتة تنفيذ اي اصلاح قبل ان يعرض على المنظمات النقابية

يعارض المؤتمر في كل لائحة اصلاح تقتضي ان تكون لغة التعليم هي العربية فقط . ويطالب بان لا يغفل غافل عن ان لغة التعليم بجميع العلوم يجب دائما ان تكون الفرنسية

اللغة العربية الفصحى يجب ان لا تشغل مكانا كبيرا في التعليم . وان لا يشرع في تعليمها الا بعد دخول الطفل للمدرسة بسنتين او ثلاث لان تعليمها لا تحصل منه منفعة ولا يكون ناجما اذا كان الاطفال صغار السن جدا الخ

فاحدث هذا الاقتراح تاثيرا عميقا في الاوساط التونسية عموما وفي الهيئات العلمية

بصفة خاصة وادخل على النفوس قلقا واضطرابا واستاء منه التونسيون استياء عظيما وتعرض له الكتاب بالنقد بحسب ما تسمح به الظروف ونحن لزاما علينا ان نقول كلمتنا في هذا الموضوع الخطير تحقيقا للحق ودحضا للشبهة ودفاعا عن شيء هو من اعز ما يجب علينا ان نحافظ عليه ونذود عنه بكل ما لدينا من حجة وبرهان وقوة عزيمة فنقول :

ان اصل هذا الاقتراح ليس هو وليد راي خاص لم يختمر في عقل صاحبه فرمى به وطرحه امام انظار المؤتمرين ليبحثوا في صحته من فساده ويقرروا قبوله او رفضه بل هو راي لبعضهم علمناه منذ زمان ونشر في الصحف ونقده بعض التونسيين وبينوا لاصحابه ان الامة متمسكة بعروبتها محافظة على لغتها وانه لا محل لقبول امثال هذه الاقتراحات. بيد انه في هذه المرة اصطبغ بصبغة خاصة خطرة ليمكن ان يخرج من حيز التفكير الى حيز العمل ومن دائرة القول الى التنفيذ وزيد فيه بعض فصول ليسهل تنفيذه وبيان ذلك ان بعض الكتاب الفرنسيين اقترح على الشعب التونسي العربي ان يعتنى باللهجة العامية ويجعل لها مكانا يليق بها كلغة تخاطب وهي منه بالسهولة التي لا يجدها في اللغة العربية الفصحى التي يحرص على بقائها من غير ان يفقه انه يعمل لغير مصلحته ولغير مصلحة مساكنيه من الفرنسيين الذين يرغبون في تعلم اللغة التي يتكلم بها التونسيون . ولما خاب هذا الرجاء تحولت وجهة النظر الى دعوته بصوت اخر فحسنوا له النشر والتاليف القصصي وعلى الاخص التمثيل باللهجة العامية وفي هذه المرة وجدت الدعوة بعض من أصغى اليها فظنوا ان النجاح قد ظهرت بوارقه فنشطوا وتقدموا خطوة اخرى فجاء الاقتراح الخطير ولكن الامر ليس كما يظن فان نشر صحيفة بلهجة عامية او تاليف قصة وتمثيلها بهذه اللهجة وان كان شيئا ممقوتا اقدم عليه بعض من لم يفكر في العواقب ولم يساير ميول افراد الشعب ونفسيته فهو لم يبلغ من الخطورة مبلغ قلب نظام التعليم لابناء شعب كامل فتقبله الامة العربية والحكومات الساهرة على حفظ مصالحها بالسهولة التي حسبها المقترح والمؤتمرون فان وراءه من الخطورة الشيء العظيم والامم الان تستقبل عصرا ستتصدع فيه الاراء المتعصبة على صخرة الحقائق . والشعب التونسي لما قبل اللغة الفرنسية وتعلمها عن رغبة وشره وقبلها كاداة لتعلم العلوم كان منه ذلك باعتبارا انها مرحلة اولى من مراحل التطور في رقيه المنشود له فكيف يمكن ان يرضى وتطيب نفسه بقبول امثال هذا الاقتراح على ان

هذا الاقتراح نفسه ماخوذ على صاحبه من وجوه

اولها يتعلق برغبتهم في ادخال اللهجة العامية في فصول التعليم بالمدارس الـرسمية واعتبارها مادة من المواد التي يتعلمها التلامذة كما هو راي بعضهم . وان لم يذكر صراحة في اقتراحات المؤتمر التي تم تقريرها نهائيا في هذه السنة .

ونحن نبحث مع اصحاب هذا الراي من جهات : اولها اي لهجة يراد ان تجعل مادة في التعليم ! هل لهجة الشمال او لهجة الوسط او لهجات الجنوب فان اختير احدها يكون ذلك تحكما وهضما بالنسبة للباقي وان اختير جميعها فذلك دون تحقيقه خرط القتاد ٠ وان قسموا وقالوا كل جهة تتعلم لهجتها فهذا اعسر من الجميع ويزيد الموضوع تشعبا واضطرابا ولا يسهل على الشعب شيئا مما يحاولون ان يذللوه بترك الفصحى واما الفرنسيون فلهم ما يشاءون تعلمه سواء الفصحى او العـامية فهم ادرى بمصالحهم وانما الذي نريده ان لا يشغل المؤتمرون اوقاتهم في التفكير في امر هو من خصائصنا نحن والقـول الفصل فيه لنا وحدنا فالامة عربية ولغتها عربية ولا تسمح لكائن من كان ان يمسها في لغتها ٠

وثـانيها ان العامية ليس مراعى فيها اصول الفصحى على نسبة واحـدة صحيحـة ولا مراعى فيها قواعد نحوها وفيها من اللغات الاخرى الشيء الكثير مع عدم مجـاراة مادة الاشتقاق لواحدة من تلك اللغات لا فرق في ذلك بين الفصحى وغيرها فعـلى اي اساس يكون تعليمها ؟ وعلى اي نحو يقوم هيكلها ؟ ومن اي الكتب يستمد التلامذة ثقافتهم لو تركنا لغتنا العربية ؟

ثالثها ان العربية لغة القرآن فاذا استبدلت الفصحى بالعامية وترك تعلم اللغـة العربية كيف يمكـن تعليم القرءان للتلامذة وتعليم القرءان واجب ديني فالطفل يلزمه ان يتعلم اللغة التي نزل بها القرءان ٠ ولا يقع النقض بالعوام لان العوام ما منهم الا تلقى من اللغـة وسور القرءان ما يقيم به فروضه الدينية ٠ هذا اولا وثانيا نحن نتكلم على اعـداد نشيء متعلم فلا نقض بالمقصر والجاهل فان ذلك خروج عن الموضوع ٠

الوجه الثاني مما يؤخـذ على صاحب الاقتراح وهو يتعلق بكون اللغـة العربية الفصحى يجب ان لا تشغل مكانا كبيرا في التعليم

عجب كل من قرأ هذا الاقتراح كيف سوغ المقترح لنفسه ان يهاجم الشعب التونسي بمثل هذا الهجوم الذى لا مبرر له . ونحن نسال صاحب الاقتراح هل ان الشعب التونسي على استعداد لقبول تبديل لغته التي هي لغة قومه ووطنه ولغة القرءان فان العربي يفهم ويتصور انها لغته التي نزل بها القرءان وخدمت العلم قرونا وخدمت الفكر عصورا متطاولة وخدمت السياسة احقابا متتابعة فلا يبغي عنها بديلا كيفما كانت التكاليف والظروف وهي لغة حية لها ثروة ادبية واسعة لو هجرها ابناء الشعب لضيعوا تراثا ثقافيا لا تغني عنه العامية ولا اية لغة اخرى زيادة عما يضيع عليهم من العلوم التي دونت بالفصحى ولم تنقل الى غيرها . وهي ايضا الرابطة التي تربطه باخوانه العرب في سائر الاقطار العربية فترا‌ه يغار عليها كما يغار على قومه العرب وعلى الوطن العربي باسره من الجزيرة الى الاطلانطيك وارادة نكران الواقع لا يغير من الحقيقة شيئا والتقسيمات السياسية اوضاع اصطلاحية لا ترفع الواقع بحال وان بذل في سبيلها ما بذل لان المجارى الطبيعية تتصدع امامها كل السدود . فكيف بالمؤتمر يوجب ان لا تشغل العربية مكانا كبيرا في التعليم وما ذا يريد من المكان الذى وصفه بالكبر هل من حيث الوقت او من حيث المواد فان كان الاول فهل بعد هذا التقتير التي هي عليه الان يراد زيادة التنقيص من الحصة المعينة لها والشعب ما زال يطالب بالزيادة وان كان من حيث المواد فان نقص المواد التي يتلقاها التلميذ في المدرسة المتعلقة باللغة وءادابها امر بين وكذلك الشعب ما انفك يطالب بتنقيح البرامج وادخال تحسينات عليها حتى يخرج التلميذ على هيئة يقدر معها ان يتابع تثقيفه الذى اهلته له المدرسة . الوجه الثالث يتعلق بدعوى ان التلميذ الصغير لا تحصل له منفعة من تعلم اللغة العربية . هذا كلام ادهش العقول منطقه لاسيما وهو قد ذكر في معرض الاستدلال على صحة نظرية القائل انه يجب ان لا يشرع في تعليم الفصحى للاطفال الصغار

ماذا يراد من هذه المنفعة ؟ ان كان يقصد ان الطفل اذا تعلم الفصحى في سنواته الاولى لا ينفعه تعلمه لها اذا قضى المرحلة الاولى من التعليم وانتقل الى الدرجة التي فوقها فهذا كلام بعيد عن المنطق الصحيح كما يدركه كل احد من غير ان يحتاج الى رد او تعليق وان اريد ان ما يبذله المعلم في الدرس لا يحصل من ورائه التلميذ معرفة فالواقع اثبت خلاف

ذلك فان تلامذة المدارس الابتدائية مع قصر المدة التي يتعلمون فيها العربية ياخذون بنصيب على قدر ماهو مقرر في برامج التعليم • واذا ادرك صاحب الاقتراح قصورا في التلامذة من ناحية اللغة فذلك يرجع الى قلة الوقت والبرنامج المتبع في التعليم ولو اعطي لتعليم العربية ماتستحقه من العناية والزمان لكانت النتيجة اعظم

الوجه الرابع يتعلق بامر هو بيت القصيد عند المقترح وهي المخاوف التي املت عليه الاسراع بهذا الاقتراح : ان المؤتمر يعارض كل لائحة اصلاح تقتضي ان تكون اللغة العربية هي لغـة التعليم • اى سبب دعـا لاثارة هذا الموضوع الان واى داع دعى القوم لهذه المعارضة ؟ ان كان الداعي هو التخوف من هجوم اللغة العربية على العلوم في التعليم فان العلوم لا لغة لها خاصة • والتلامذة الاسهل عليهم ان يتلقوا العلـوم بلغتهم والمصلحة تراعى قبل كل غرض آخر لا سيما والمقترح اظهر الرغبة في التسهيل على التلامذة وترك اعناتهم • وان كان الداعي هو شدة حبه للغته فلا يريد ان تزاحمها لغة اخرى • فانا لا ينقصنا نحو لغتنا الاحساس الذي يحس به نحو لغته فمن اللائق ان يقدر كل فريق عواطف مساكنيه ولا يمسها بسوء ولا ينبغي ان يتغافل عن ذلك

واما التنبيه الذي نبهنا اليه وطلب ان لا يغفل غافل عنه من وجوب اعتبار لغة التعليم لجميع العلـوم دائما هي الفرنسية فهو تنبيه ووجوب لم يتبين لناسببه ولا موجبه ولا هو من الحقوق المكتسبة التي قررتها المؤتمرات الرسمية وصدرت بها الاوامر بل هو محل مناقشتنا معه ومع من لف لفه .

الوجه الخامس يتعلق باقتراح ان تكون لوائح اصلاح تعليم المسلمين -يعني بتونس- قائما على المبدا والاساس المقرر في بلاد الجزائر •

نحن نجهل المبادىء والاسس المقام عليها تعليم اخواننا عرب الجزائر ولا يمكننا ان نحبذ هذا الاقتراح اونعارض فيه بيد ان المقترح ذيله بامكان مراعاة الظروف السياسية الخاصة بالبلاد التونسية وهنا اذا امعنا النظر فيما ترمي اليه هذه العبارة من معان فقد يبدو لمن تامل فيها مليا ان الظروف السياسية الخاصة بالبلاد التونسية لاشك انها متولدة من معاهدة الحماية التي صبغت البلاد باوضاع غير الاوضاع التي عليها الجزائر واذا كان الامر كما ذكرنا فلماذا هذا الاقتراح من اصله ما دام صاحبه تجلت له شمس الحقيقة في رابعة النهار

البقية بصحيفة ١٥٣

بسم الله الرحمن الرحيم

القرءان الكريم

من درس التفسير

للاستاذ الاكبر المولى الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور ابقاه الله

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ .

***

اخبار لمبتدا محذوف وهو ضمير يعود الى ماعاد عليه ضمير مثلهم ولا يصح ان يكون عائدا على الذي استوقد لانه لا يلتئم به اول التشبيه وآخره لان قوله كمثل الذي استوقد نارا يقتضي ان المستوقد ذو بصر والا لما تأتي منه الاستيقاد. وحذف المسند اليه في مثل هذا المقام استعمال شائع عند العرب اذا ذكروا موصوفا باوصاف أو اخبار جعلوه كانه قد عرفه السامع ثم يقولون فلان أو فتى أو رجل أو نحو ذلك على تقدير هو فلان ومنه قول الحماسي :

ساشكر عمرا ان تراخت منيتي ... أيادي لم تمنن وان هي جلت
فتى غير محجوب الغنا عن صديقه ... ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

وسماه السكاكي الحذف الذي اقبع فيه الاستعمال الوارد على تركه. والاخبار عنهم بهذه الاخبار جاء على طريق التشبيه البليغ. شبهوا في انعدام آثار الاحساس منهم بالصم البكم العمي أي كل واحد منهم اجتمعت له الصفات الثلاث وذلك شان الاخبار الواردة بصيغة الجمع بعد مبتدا هو اسم دال على جمع فالمعنى كل واحد منهم كالاصم

الابكم الاعمى . وليس المعنى على التوزيع فلا يفهم ان بعضهم كالاصم وبعضهم كالابكم وبعضهم كالاعمى . والصم والبكم والعمي جمع اصم وأبكم واعمى وهم من اتصف بالصم والبكم والعمى فالصمم انعدام احساس السمع عمن من شانه ان يكون سميعا والبكم انعدام النطق عمن من شانه النطق والعمى انعدام البصر عمن شانه الابصار وقوله

وقوله فهم لا يرجعون تفريع على جملة صم بكم عمي لان من هراه هذه الصفات انعدم منه الفهم والافهام وتعذر طمع رجوعه الى رشد أو صواب . والرجوع الانصراف من مكان حلول ثان الى مكان حلول اول . وهو هنا مجاز في الاقلاع عن الكفر . ومماحسن استعارة الرجوع للاقلاع عن الكفر ان الاقلاع عن الكفر يحصل بالايمان بعقائد الاسلام والاسلام مستقر في الفطرة فالذي يعتقد خلاف الاسلام يكون كمن فارق مقره والذى يقلع عن اعتقاد يخالف الاسلام فيسلم يكون كالذي عاد الى محله ومأواه فيحسن تشبيه ذلك الاقلاع بالرجوع .

او كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق : عطف على التمثيل السابق وهو قوله كمثل الذي استوقد نارا فهو تمثيل ثان لاحوال المنافقين جاء على طريقة بلغاء العرب في التفنن في التشبيه وهم يتنافسون فيه لا سيما في التمثيل منه وقد استقريت ذلك من استعمالهم فرايتهم قد يسلكون طريقة عطف تشبيه على تشبيه كقول امرىء القيس في معلقته :

أصاح ترى برقا أريك وميضه ... كلمع اليدين في حبي مكلل
يضيء سناه او مصابيح راهب ... امال السليط بالذبال المفتل

وقال لبيد في معلقته يصف راحلته :

فلها هباب في الزمام كانها ... صهباء خف مع الجنوب جهامها
او ملمع وسقت لاحقب لاحه ... طرد الفحول وضربها وكدامها

وهي طريقة مسلوكة في بليغ الكلام وقد كثر التزام عطف التشبيه في هذه الطريقة باو دون الواو . واو موضوعة لاحد الشيئين او الاشياء فيتولد منها معنى التسوية في التشبيه وربما سلكوا في اعادة التشبيه مسلك الاستفهام بالهمزة اي أتختار التشبيه بهذا أم بذاك كما قال لبيد بعد قوله (او ملمع وسقت لاحقب لاحه) لابيات :

أفتلك أم وحشية مسبوعة   خذلت وهادية الصوار قوامها

وقال ذو الرمة في تشبيه سير ناقته الحثيث :

وثب المسحج من عانات معقلة   كانه مستبان الشك او جنب

ثم قال :

أذاك أم نمش بالوشي أكرعه   مسفع الخد غاد ناشط شبب

ثم قال :

أذاك أم خاضب بالسي مرتعه   أبو ثلاثين أمسى وهو منقلب

وربما عطفوا بالواو كما في قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الآية ثم قال : وضرب الله رجلين الآية وقوله : وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور الآية. وربما جمعوا بدون عطف كقوله تعالى : حتى جعلناهم حصيدا خامدين • وهذه تفننات جميلة في الكلام البليغ هداني اليها الاستقراء • وأو عطفت لفظ صيب على قوله كمثل الذي استوقد بتقدير مثل بين الكاف وصيب واعادة الكاف مع حرف العطف المغني عنه مستعملة في كلامهم وقد يستغنون عنه وحسنه هنا ان فيه اشارة الى اختلاف الحالين المشبهين كما سنبينه ولا حاجة الى اعادة لفظ مثل لان العطف اغنى عنه وهم في الغالب لا يكررونه في العطف • والتمثيل هنا لحال المنافقين حين حضورهم مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماعهم القرآن وما فيه من آي الوعيد لامثالهم وآي البشارة للمؤمنين • فالغرض من هذا التمثيل تمثيل حالة مغايرة للحالة التي مثلت في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد • بنوع اطلاق وتقييد • فقوله أو كصيب تقديره كقوم ذوي صيب وقد دل على تقدير القوم قوله يجعلون أصابعهم في آذانهم • وقوله يخطف أبصارهم الآية لان ذلك لا يصح عوده للمنافقين فلا يجيء فيه ما جاز في قوله ذهب الله بنورهم الخ • فشبهت حال المنافقين بحال قوم سائرين في ليل بديار قوم فاصابهم الغيث وكان اهلها كائنين في مساكنهم كما علم من قوله كلما اضاء لهم مشوا فيه فذلك الغيث نفع اهل الديار ولم يصبهم مما اتصل به ضرر ولم ينفع المارين بها وأضر بهم ما اتصل به من الظلمات والرعد والبرق فالصيب مستعار للقرآن وهدي الاسلام وتشبيه القرآن بالغيث معروف وفي الحديث

الصحيح : مثل ما بعثني الله به للناس من الهدى كمثل الغيث اصاب ارضا فكان منها نقية الخ ·
وفي القرآن كمثل غيث اعجب الكفار نباته ·

والظلمات هي ما يعتري الكافرين من الوحشة عند سماعه كما يعتري السائر في البيداء وحشة الغيم لانه يحجب عنه ضوء النجوم والقمر · والرعد قوارع القرآن وزواجره والبرق ظهور نور هديه من خلال الزواجر فيظهر ان هذا المركب التمثيلي صالح لاعتبارات تفريق التشبيه وذلك اعلى أنواع التمثيل · والصيب فيعل من صاب يصوب صوبا اذا نزل بشدة · قال المرزوقي ان يساءه للنقل من المصدرية الى الاسمية والظاهر ان قوله من السماء لزيادة استحضار صورة الصيب في هذا التمثيل اذ المقام مقام اطناب كقول امرء القيس : « كجلمود صخر حطه السيل من عل » اذ قد علم كل احد ان السيل لا يحط جلمود صخر الا من اعلى ولكنه اراد التصوير · وكقوله تعلى « ولا طاير يطير بجناحيه » وقوله تعلى « كالذي استهوته الشياطين في الارض »

والسماء تطلق على الجو المرتفع فوقنا الذي نخاله قبة زرقاء وعلى الهواء المرتفع قال تعالى كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء وتطلق على السحاب وتطلق على المطر نفسه ففي الحديث خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اثر سماء الخ · ولما كان تكون المطر من الطبقة الزمهريرية المرتفعة في الجو جعل ابتداؤه من السماء وتكرر ذلك في القرآن · ويمكن ان يكون قوله من السماء تقييدا للصيب اما بمعنى من جميع اقطار الجو اذا قلنا ان تعريف السماء للاستغراق كما ذهب اليه في الكشاف على بعد فيه اذ لم يعهد دخول لام الاستغراق الا على اسم ذي افراد دون اسم ذي اجزاء فيحتاج لتنزيل الاجزاء منزلة افراد الجنس ولا يعرف له نظير في الاستعمال · فالذي يظهر لي ان كان قوله من السماء قيدا للصيب ان المراد من السماء أعلى الارتفاع والمطر اذا كان من سمت مقابل وكان عاليا كان ادوم بخلاف الذي يكون من جوانب الجو او يكون قريبا من الارض غير مرتفع ·

والظلمات مضى القول فيه آنفا والمراد بالظلمات ظلام الليل اي كسحاب في لونه ظلمة وسحابة الليل اشد مطرا وبرقا وتسمى سارية ·

والرعد اصوات تنشأ في السحاب · والبرق لامع ناري مضيء يظهر في السحاب والرعد

(البقية على صحيفة ١٥٣)

مراجعة في تفسير قوله تعالى :

قل لا اسالكم عليه اجرا

الا المودة في القربى

بقلم الاستاذ الاكبر الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور

طالعت في الجزء السادس من المجلة الزيتونية بحثا نفيسا دبجه قلم الاستاذ الفاضل المنزل مني منزلة الابن البار الشيخ السيد الناصر الصمدام في ما يعول عليه من تفسير قوله تعالى « قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى » فرايته ختم بحثه بالرغبة في احقاق الحق من معنى الآية وعلمت انه يحب مجاذبة البحث مما اكده من الرجاء والحث . فهز عطفي الى تذكر عهد زمن مديد . بان اسايره بتكملة وتاييد . وفصل بين قريب وبعيد . اقول :

ان ما استظهره في معنى الآية هو الاظهر وهو المأثور عن ابن عباس في صحيح البخاري وغيره وتابعه عليه اساطين المفسرين من التابعين مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل وطاوس والشعبي والسدي والضحاك وهو الذي اقتصر عليه البخاري في كتاب التفسير وعياض في الباب الاول من كتاب الشفاء وعلى ذلك التفسير تكون في من قوله تعالى في القربى تعليلية ومما لا يشك فيه المضطلع باسرار كلام البلغاء ان التعليل الذي يستفاد بفي غير التعليل الذي يستفاد بلام التعليل لان التعليل بفي انما هو معنى عارض لها متفرع عن معنى الظرفية الاصلي فيها فان في قد تستعار للظرفية المجازية ومن صور تلك الظرفية المجازية ان تنزل علة الشيء وسببه منزلة الظرف الواقع الشيء فيه لما في المجاز من الدقة والبيان وذلك مقتضي العدول عن الحقيقة الى المجاز فلله در الشيخ صاحب البحث من تطرقه الى بيان موجب العدول عن لام التعليل الى حرف الظرفية اما ما ارتئاه من اشعار حرف الظرفية باضعف مما يشعر به حرف التعليل في التسبب فلا اشايعه عليه ولا احسبه مرادا من استعمال العرب الا ترى قول الحماسي وهو سبرة الفقعسي من شعراء الجاهلية :

نحابي بها اكفاءنا ونهينها ونشرب في اثمانها ونقامر

وقد كنت ذكرت في شرحي على الحماسة المسمى « فوائد الامالي التونسية على فرائد اللئالي الحماسية » ان في للظرفية المجازية اي تحصل معاقرة الخمر ومعاطاة الميسر باثمان تلك الابل فربما كان الاكثر للشرب وربما كان الاكثر للقمار والكل مظروف في اثمانها فجعلها ظرفا ليتطرق بذلك الى ارادة اتلاف جميع اثمانها في ذلك فالظرفية على معنى باء السببية والمقصود هذا المسبب وهو ما يرضيهم من الشراب والميسر ولذلك لم يات بمن لئلا يوهم انهم يشربون ويقامرون ببعض اثمانها ويستبقون بعضها اكتنازا فهم يتعيرون بذلك ونظيرته الظرفية قوله تعالى وارزقوهم فيها واكسوهم اي ارزقوهم بها ولم يقل منها للاشارة الى عدم التقتير عليهم في اموالهم وانما هي اسباب لرزقهم وكسوتهم فالمنظور اليه هو المسبب والسبب تبع لحال المسبب . ويكون التعريف في قوله تعلى القربى تعريف الجنس اي لاجل حقيقة القرابة بيننا . وهذا الوجه في معنى الاية هو الانسب بالسياق لان الخطاب موجه الى المشركين وكانوا عادوا النبيء صلى الله عليه وسلم وتداعوا للتالب عليه فناسب ان يذكروا بوشايج الارحام والتذكير بها سنة عربية مالوفة كما قال القتال الكلابي :

نشدت زيادا والمقامة بيننا وذكرته ارحام سعر وهيثم

وليس من مناسب المقام ان يسالهم مودة اهل بيته واقاربه لان ذلك لاغناء له في غرض الاية

واما الوجه الثاني في تفسيرها فليس بباطل اذ قد قال به جمع من التابعين مثل عمرو ابن شعيب وسعيد بن جبير وعلي بن الحسين وذكره صاحب الكشاف ولم يذهب اليه احد من الصحابة واني اراه مرجوحا وضعيفا وقد روى البخاري انكار ابن عباس على سعيد بن جبير تفسير الآية به ولم يعرج على ذكره عياض في فصل وجوب البر بآل محمد صلى الله عليه وسلم من كتاب الشفاء . وعلى هذا الوجه يكون في قوله تعلى في القربى حذف مضاف اي في ذوي القربى وتكون في مستعملة في الظرفية المجازية بان جعل اهل قرابة الرسول كالمكان لاستقرار المودة كما صرح به في الكشاف . وقد ذكر بعض المفسرين في ترجيح كون هذا الوجه هو المراد من الاية حديثا عن ابن عباس انه قال لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم فقال فاطمة وولدها اه . وهذا الحديث شديد الضعف لان في سنده حسينا الاشقر وكان مشهورا بالغلو في التشيع وكان مع ذلك مجهولا غير مقبول

الحديث ٠ واما ما يرمي اليه الكميت في ابياته وشريح بن اوفى العبسي في بيته فانما هو تقليد لهذا التاويل في معنى الاية ٠

ثم لا حاجة بنا الى التخليط الذي وقع فيه بعض المفسرين في ترجيح هذا التاويل بجلب الادلة على وجوب مودة اهل قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابطال كون ذلك مستفادا من هذه الاية لا يوهم ابطاله في نفسه اذ لم يدع احد انحصار الدليل في هذه الآية ٠ وهنالك وجه ثالث في تفسير الآية هو ابعد الوجوه فقد روي عن ابن عباس والحسن البصري ان المعنى الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بالطاعة فيكون المراد القربى المجازية اى الموالاة وتطلب الرضا ويكون التعريف للعهد بقرينة من مقام الخطاب لا وجود لها في لفظ الآية ٠ وقد ذكر ابو بكر ابن العربي في العارضة الوجوه الثلاثة وقال اثرها « وليس يبعد ان يكون الكل معنيا من الآية اه » ويتعين ان يكون اراد من نفي الاستبعاد نفي استبعاد يقتضي البطلان بحيث يكون احتمالا لا يسمح به لفظ الآية وليس يعني به استواء الوجوه الثلاثة في التبادر من الاية وكيف وهو بصدد شرح الخبر الذى اخرجه الترمذي عن ابن عباس انه انكر على سعيد بن جبير تفسيره الاية بالوجه الثاني وفسرها ابن عباس بالوجه الاول ٠ واما الاستثناء الواقع في قوله الا المودة فهو منقطع على جميع الوجوه لان المودة ليست باجر فالاستثناء في معنى الاستدراك وقد استعملت اداة الاستثناء في معنى اداة الاستدراك ولذلك جعل العلماء الاستثناء في مثله منقطعا ثم فسروه بانه على ادعاء انه ان كان اجر فهذا هو اجري ويسمى هذا الاستعمال في اصطلاح الادباء تاكيد المدح بما يشبه الذم وهو معدود في المحسنات البديعية بهذا الاسم وبضده وهو تاكيد الذم بما يشبه المدح وقال العلامة التفتزاني الاجدر ان يسمى تاكيد الشيء بما يشبه نقيضه اه ٠ وانما سميته في كتاب موجز البلاغة تاكيد الشيء بما يشبه ضده توسعة في التسمية لئلا يختص بالنقيض ثم ارى انه يتعين في مثل هذا الاستثناء انه ان وقع في مقام تعتبر في مثله المحسنات فليسم استثناء ادعائيا كما سمى البلغاء بعض انواع القصر قصرا ادعائيا وان كان عريا عن قصد التحسين سمي استثناء منقطعا وللاديب ان يتتبع فروقه ٠ ويعين صوبه من شيم بروقه ٠

الوعظ والارشاد

النصيحة والمراقبة

واثرهما في اصلاح الفرد والمجتمع

الانسان جبل على حب نفسه يسعى في جلب الخير اليها ودفع الضر عنها وهذا الحب الغريزي مرة يقوى في نفس الانسان حتى يخرج به عن حد الاعتدال فيرتكب المخاطر في سبيل التحصيل على ما يحسب انه يعود عليه بالنفع ولا يبالي بعظيم ابتغاء الوصول الى مرغوبه وقد يقعد به ذلك الميل حرصا منه على راحته وتباعدا عن كل ما يجر اليها المًا اومشقة والكل يرجع الى حب النفس وهكذا احوال الناس تختلف باختلاف تصوراتهم للاشياء وبحسب ما تمليه عليهم مداركهم مما يوصل في نظرهم الى السعادة ورغد العيش وسلامة الحياة من المتاعب والمهالك . ومن اجل هذا الاختلاف في ادراك المحاسن والمساوي وبعبارة اظهر من اجل القصور الذي تكون عليه بعض النفوس فتعمل العمل وهي تحسبه انه نافع لها ويكون في الواقع ضرره اكبر من نفعه من اجل ذلك احتاج الناس الى من يرشدهم الى الصالح من الفاسد ويدل الغافل على عيوب نفسه ويحذره من عواقبها ويكشف له ما ارتكبه من فعل قبيح او تقصير فيما يجب عليه القيام به الى غير ذلك مما يجدر بالعاقل ان لا يلتبس عليه والانسان من فرط حبه لنفسه تخفى عليه معايبه فلا يراها وان كانت في نفس الامر بادية في وضوح وجلاء فاذاساير الانسان ميوله واهمل شؤون نفسه وقع في الاخطاء وهو لا يشعر . وتلك هي المسالة الغامضة التي شغلت الافكار منذ القدم وبقي اهل التفكير يبحثون في كيفية علاجها حتى تسلم النفوس من مساويها

واخطارها وقد ذكر علماء النفس والتربية في هذا المقام ان من اهم ما يكشف للانسان عن عيوبه المراقبة والنصيحة

اما المراقبه فان يتنبه الانسان الى ما عليه الناس من صفات وما هم عليه من صور في حياتهم الخاصة والعامة وطرق اكتسابهم وسيرتهم فيتخذ منها مرآة تكشف له ما خفي عليه من صفاته واحواله فما وجده في نفسه من مساويهم تجنبه واقلع عنه . وبذلك يسهل عليه الوقوف على معايبه التي اخفاها عليه شدة حبه لنفسه . واما النصيحة فان يتخذ صديقا صدوقا يعرفه عيوبه ليتجنبها بيد ان هذا النوع الثاني كانه عزيز الوجود او غير مطموع فيه وذلك ان الصديق اذا كشف لصديقه عما هو فيه من مساوي يخشى على صداقته وذلك من تاثير الانفعالات النفيسة التي تحدث لصديقه عند هذه المكاشفة وهو ان سلم من غضبه مرة لا يامن ان يسلم كل مرة وفي ذلك فك لعرى المودة حلقة بعد حلقة فان الانسان لا يحب ان تذكر له عيوبه ولو انه تجاهر بذلك الحب او اخذ على اصدقائه المواثيق والعهود ليناصحوه واحسب ان هذا هو السبب الاكبر الذي قلل من النصيحة بين الاصدقاء والكشف عن العيوب والمساوي التي يتخبط فيها الناس ولو امسك الناس عن الغضب اذا ما جاهرهم ناصح امين بسوء ما فعلوا وبسطوا له وجوههم وتقبلوا منه كلامه باصغاء وثناء لكثر في الناس النصحاء وقلت المناكر وادركوا عيوبهم ونقصت منهم الغيبة لان المرء اذا راى شيئا يستهجنه او ينكره ونصح لمرتكبه فقبل منه نصيحته ورجع عما هو عليه لا يجد الاخر لنفسه مساغا ليتكلم في عرضه ويتحدث به في مجالسه ولكن الناس معرضون عن هذا ولا يريدون ان يدركوا او يتاملوا في هذه الحقائق ولو ادركوها وعملوا بموجبها لكانوا اسعد حظا وسلموا في اعراضهم . واذا كان الاعتماد على الناصح عزيز المنال فاللازم ان يصار الى المراقبة اولا وبالذات فهي العلاج البسيط السهل الذي لا يخشى المرء من ورائه ما تستنكف عنه نفسه مما لا يطيب لها سماعه من الغير ويعتمد المرء على مراقبته لاحوال الناس ليكتشف بها عن مساويه وهذا ما اختاره العالم الكبير ابو يوسف بن اسحاق الكندي ونقله عنه ابن منكسويه واقره قال الكندي :

ينبغي لطالب الفضيلة لنفسه ان يتخذ صور جميع معارفه من الناس مرآة

له تريه صور كل واحد منهم عند ما تعرض له آلام الشهوات التي تثمر السيئات حتى لا يغيب عنه شيء من السيئات التي له ٠

وهذا الذي اختاره الكندي مثاله ماجاء في الشريعة من وجوب محاسبة النفس وعرض افعالها على قانون الشرع ومايفعله الناس فما كان حسنا حمد الله على ما هداه اليه وماكان منكرا رجع واستغفر واقلع عنه وبذلك تالف النفس الحسنات ولا يفوتها منها شيء وتستقذر الرذيلة فتتجنبها ٠ وهذا النوع من التربيه له من المحاسن زيادة عما ذكرنا الاعتماد على النفس في رياضتها بمحاسن الاشياء وفيه ايضا تكوين الارادة النافذة بما يتخذه المرء مع نفسه من المقاومات السرية التي تكون بينه وبين نفسه في علاج امراضها ٠ ولكل واحد من هذين اثره الطيب

اما الاعتماد على النفس فهو الخلق الذي يسمو به الانسان ويلبسه رداء الاقدام والشجاعة ويخلع عليه جلباب الاستقلال في الفكر ويحليه بزينة المروءة وكل هذه صفات العز والكرامة وما يبلغ الى الغاية القصوى من السؤدد والشرف والسلطان ٠ ولا شيء اضر بالمرء من اهماله شؤون نفسه معتمدا على من يقوم له بها والاعتماد على الغير داء ماسرى في امة الا فسد نظام عمرانها فتصبح في مؤخرة الامم وبتواكل افرادها على بعضهم تتلاشى المصالح وتنصرف الانظار عما يقودها للعز والسؤدد ٠ واما الارادة النافذة فالدواء الذي تعالج به معضلات الامور التي تتعاصى على ذوي العزايم النخرة ويثبت به الانسان عند العواصف فمتى اعتاد المرء محاسبة نفسه على العظيم والحقير واذا قصرت في امر حاسبها عليه واذا فرطت في مهم آخذها وعنفها وجعل لعقله سلطانا تخضع لديه في حكمه كان بذلك موفور الكرامة سليم العاقبة ٠ ونحن اذا القينا بنظرة على مجتمعنا التونسي نجد الفرد والجماعات ٠ العظيم والحقير الخاصة والعامة كلهم اذا تحدثت اليهم واصغيت الى حديثهم تسمع منهم التذمر من سوء ماعليه الناس وتكاد لا تعثر على احد يذكر لك الهيئة الاجتماعية الا بكل نقيصة ولست بمبالغ اذا قلت ان هذا الامر اجمع عليه الناس فاذا كان كل احد من الناس قد ادرك المساوي المتفشية بين افراد الشعب واستهجن من طباعهم وانكر امورا يسيرون عليها في حياتهم الخاصة والعامة وانكر عليهم تماديهم في ارتكاب المناكر وفشو سوء الخلق بينهم فلماذا لا يرجع الانسان الى نفسه ويحاسبها ويتبع سيرتها في حياته كلها ويبحث عن معايبه التي يحجبها عنه حبه لنفسه فيستكشفها مما وجده عند اخوانه الذين انكر عليهم فيزيل بذلك عن نفسه الحجب التي كانت ساترة عنه مساويه

اني لا انكر على الناس كثرة انتقاداتهم مما يقع عليه نظرهم او ما يحسون به من مساوي الاخلاق وتفشي الرذائل انما ادعوهم ليتحسسوا من نفوسهم امثال ما يقع عليه بصرهم وما يطرق اسماعهم من امثال ما ينكرونه على الناس لينكر كل احد على نفسه ما ينكره على غيره ويستهجن من طبعه ما استهجنه من طباع الناس ولو رجع كل انسان الى نفسه وتتبع معايبها فاصلحها وادرك المسؤولية الملقات على عاتقه من فرط اهماله امر نفسه لعلم ان صلاح المجتمع بصلاح الفرد والله تعالى يقول « اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون » • فالعاقل اللبيب لا يهتم بسواه ويترك حبله على غاربه وينقم على الناس وهو اشد منهم خطرا ويحسب على الناس خطاهم وهو يتعثر في اثواب الرذيلة ومساوي الامور

وكيف يفرح المرء بما هو عليه ولا يراقب نفسه والله منه بالمرصاد سيحاسبه عما صدر منه من عظيم وحقير وكيف يحب ان يحمد وهو يتغشى المهالك ويحسب انه ممن يحسنون صنعا قال الله تعالى في سورة آل عمران « لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم » وقال سبحانه في سورة الكهف « قل هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا » وقد بين الله تعالى للناس ان كل امرئ مجازى بما قدمت يداه فمن جاء بالصالحات كان نصيبه منها ويوفى اجره وله عاقبة الدار ومن جاء بالسيئات سيجازى سيئة مثلها جزاء وفاقا ولا يظلم ربك احدا قال سبحانه في سورة القصص « من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجازى الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون » ولو بحث الانسان مليا لوجد ان كل اموره وجل اعماله راجع اثرها عليه ان خيرا وان شرا فكيف بعد هذا يساير الانسان هواه ويرضى لنفسه بالدون والله تعالى يقول « يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون »

ولو تنبه الناس وتمسكوا بما ندعوهم اليه من اختبار احوالهم والنظر في عيب الغير ليجتنب لا ليفشى ويتحدث به واهتم كل امرء بمساويه ليزيلها وعقدوا الخناصر على المناصحة وتوخوا سبيل الرشاد وقبلوا النصيحة ولو كانت مؤلمة لكان خيرا لهم واعظم نفعا والعاقبة للمصلحين ولا عدوان الا على الظالمين الا ان هذا هو الحق فلا تكن من الممترين •

محمد الشاذلي بن القاضي

(تابع مقال اللغة العربية)

الوجه السادس يتعلق بطلب عرض الاصلاحات التي يراد تطبيقها على المنظمات النقابية قبل تنفيذها. وهذا ايضا اقتراح عجيب في بابه لان اللغة العربية لها علماؤها المبرزون فيها وهم كثيرون ولها امتها التي تتكلم وتعبر بها فاذا اريد تنقيح شيء من برامج تعليمها فمن الواجب عرض ذلك على اربابها وقديما قيل اهل مكة ادرى بشعابها.

وليس من المعقول ان يعرض ذلك على نقابة التعليم اللائكية التي ليس فيها من يمثل اللغة العربية بالمعنى الصحيح.

على ان نقابة التعليم هل ترضى ان يعقد علماء اللغة العربية مؤتمرا يبحثون فيه على اصلاح برامج تعليم اللغة الفرنسية ولو كان فيهم من يحسنها وهل تستحسن ذلك؟ اذا فكيف تسوغ لنفسها ان تتعاطى تقرير برنامج التعليم للغة ليست لغتها ولامة ليست بامتها

وهنا يجدر بنا ان نشير الى نقابة التعليم من طرف خفي ومثلها من تعنيه الاشارة بان مجال العلم والفكر يجب ان يبقى دائما منزها عن مساوي الكبرياء والنزعات العنصرية وعن كل ما من شانه ان يكون حجر عثرة في سبيل الرقي العلمي

وعوض ان نرى اصحاب الاراء الحرة يسعون في نشر العربية وتعميم تعليمها حتى تقضي على اللهجات العامية وتتوحد المجهودات في هذا السبيل ولا يبقى اي فارق بين لغة الكتابة ولهجة التخاطب في العاديات ويناشدون الحكومة بالعمل على ترقية الشعب من هذه الناحية كما هي المهمة التي اخذتها الحكومة على عاتقها اذا بنا نسمع من الافواه ونقرا في الصحف ما يعاكس هذا المقصد ويقيم العراقيل في سبيل الاصلاحات المنشودة من الشعب

محمد الشاذلي ابن القاضي

(تابع درس التفسير)

وكانت كهرباء احداهما اقوى من كهرباء الاخرى واذا تحاكتا جذبت الاقوى منهما الاضعف فحدث بذلك انشقاق في الهواء بشدة وسرعة فحدث صوت قوي هو المسمى الرعد وهو فرقعة هوائية من فعل الكهرباء ويحصل عند ذلك التقاء الكهرباوين وذلك بسبب انقداح البرق وقد علمت ان الصيب تشبيه للقرآن وان الظلمات والرعد والبرق تشبيه لقوارع الوعيد فانها تسر اقواما وهم المنتفعون بالغيث وتسوء المسافرين فكذلك الايات تسر المؤمنين اذ يجدون انفسهم ناجين من ان تحق عليهم وتسوء المنافقين اذ يجدونها منطبقة على احوالهم.



(باب ومن توكل على الله فهو حسبه)

قال الربيع بن خيثم (من كل ما ضاق على الناس)

حدثني اسحاق حدثنا روح بن عبادة حدثنا شعبة سمعت حصين بن عبد الرحمان قال كنت قاعدا عند سعيد بن جبير فقال عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ هُمُ الَّذِينَ)
(لاَ يَسْتَرْقُونَ وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)

(من صحيح البخاري)

الشرح

بقلم الاستاذ العلامة الشيخ الصادق المحرزي

التوكل مصدر توكل وهو مرادف لوكل واوكل واتكل قال في القاموس وكل بالله ويكل وتوكل على الله واوكل واتكل استسلم اليه وفي المصباح توكل على الله اعتمد عليه ووثق به انتهى وكانه ماخوذ من الوكالة التي هي الانابة للغير وهي اسم مصدر وكل يقال وكله توكيلا ووكالة اي فوض الامر اليه واكتفى به ويسمى الموكول اليه وكيلا ويطلق على الله تعلى ومنه قوله تعالى «وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل» وقوله تعلى «وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا» وعند جمهور الصوفية هو الاعتماد على الله تعلى كما هو المعنى اللغوي مع زيادة قيد وهو السعي في الاسباب لقولهم في تعريفه هو الثقة بالله تعلى والايقان بان قضاءه نافذ واتباع لسنة النبيء صلى الله عليه وسلم في السعي فيما لا بد منه من المطعم والمشرب والتحرز من العدو . وزيادة هذا القيد على سبيل الكمال كما يظهر مما سياتي وعليه فلا منافاة بين التوكل والاكتساب بل الاكمل اجتماعهما وعند بعض الصوفية

هو الاعتماد على الله تعلى مع ترك الاسباب لقولهم في تعريفه هو عبارة عن تحصيل اسباب الرزق بالكف عن الاكتساب والاعراض عن الاسباب اتكالا على رب الارباب وعليه فالتوكل والاكتساب لا يمكن اجتماعهما وقد وفى الشهاب القرافي ببيان المسئلة في الفرق السابع والخمسين بعد المائتين فقال اعلم انه قد التبس على كثير من الفقهاء والمحدثين في علم الرقايق الفرق بين قاعدة التوكل وقاعدة الاكتساب فقال قوم لايصح التوكل الا مع ترك الاكتساب والاعتماد على الله تعلى وقال اخرون لا ملازمة بين التوكل وترك الاكتساب ولا هوهو وهذا هو الصحيح لان التوكل هو اعتماد القلب على الله تعلى فيما يجلبه من خير ويدفعه من ضير قال المحققون والاحسن ملابسة الاسباب مع التوكل للمنقول والمعقول اما المنقول فقوله تعلى واعدلهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل . فامر بالاستعداد مع الامر بالتوكل في قوله تعلى وعلى الله فليتكل المؤمنون . وكان النبيء صلى الله عليه وسلم وهو سيد المتوكلين يطوف على قبائل العرب ويقول من يعصمني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل قوله تعلى والله يعصمك من الناس . الى غير ذلك من الادلة . واما المعقول فهو ان الملك العظيم اذا كان له جماعة عودهم فضله في ايام لا يحسن الا فيها ومن ابواب لا يخرج عطاياه الا منها وامكن لا يدفع الا فيها فالادب معه ان لا يطلب منه فضل الاحيث عوده وان لا يخالف في عوايده والله تعالى ملك الملوك واعظم العظماء رتب ملكه على عوايد ارادها واسباب قدرها وربط بها اثار قدرته ولو شاء لم يربط بها فجعل الري بالشرب والشبع بالاكل والحياة بالتنفس في الهواء الى غير ذلك فمن طلب منه حصول هذه الاثار بدون اسبابها فقد اساء الادب مع الله تعالى . وقد انقسمت الخلائق في هذا المقام الى ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته تعالى مع اهمال الاسباب وهؤلاء حصل لهم التوكل وفاتتهم الاداب وهم جماعة من الصوفية احوالهم مسطورة في كتب القوم وقسم لاحظوا الاسباب واعرضوا عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام اذ ربما وصلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله وقسم اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعلى وطلبوا فضله في عوايده فلاحظوا المسبب والسبب وجمعوا بين التوكل وحسن الادب وهؤلاء هم خير الاقسام مثل النبيئين والصوفيين وعامة عباد الله العارفين

هذا وكما انقسمت احوال الخلايق في التوكل الى الثلاثة اقسام انقسمت الاسباب باعتبار ربطها بالمسببات الى قسمين قسم مطرد ربطه بالمسببات كالايمان للدخول للجنة والكفر للخلود في النار والغذا للشبع والتنفس للحياة الى غير ذلك وقسم إكثري لكن الله تعلى اجرى فيه عادة من حيث الجملة كالادوية لزوال المرض وانواع الاسفار للارباح وغير ذلك والادب في الجميع التماس فضل الله تعلى في عوايده ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالدواء ويستعمله حتى الكي عند تعينه واذ كان هذا حاله في الاسباب الغير المطردة فما ظنك بغير ذلك من العوايد انتهى ببعض اختصار. ثم ان القسم الاول من الاقسام الثلاثة في كلام القرافي ليس على اطلاقه في اثبات اساءة الادب لهم بل فيه تفصيل يؤخذ من كتب القوم مما قرره الامام الغزالي في الاحياء وهو ان من اعتمد قلبه على الله تعلى واعرض عن الاسباب ان كان اعراضه بسبب اشتغال قلبه بالله تعلى وعدم التفكير في سواه ولم يتعرض لمنع الاسباب ففعله جايز وصاحبه متوكل وانما اعرض عن الاسباب واشتغاله برب الارباب واستغراق اوقاته في طاعة الملك الوهاب وعدم اهتمامه بامر الرزق الآيل الى الخراب لانه ياتيه بلا ارتياب وان كان اعراضه عن الاسباب ناشئا عن غير تلك الوهاد فهو توكل مقترن بعناد وعدم انقياد لله فيما اراد وذلك حرام لمخالفته لسنة سيد الانام القائل ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي ويؤيده ما روي ان بعض الزهاد فارق الامصار واقام في سفح جبل حيث لا ماء ولا كلا ولا يطرقه طارق وقال لا اطلب شيئا حتى ياتيني ربي برزقي فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم يأته رزق فقال يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني اليك فاوحى الله تعلى اليه وعزتي لا ارزقتك حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر وقعد فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب فاكل وشرب واوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا اماعلمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي. بل سمى في روح البيان هاته الطايفة بالجهال قال في تفسير قوله تعلى فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله : دلت الاية على انه ليس التوكل ان يهمل الانسان نفسه كما يقوله بعض الجهال والا لكان الامر بالمشاورة منافيا للامر بالتوكل بل التوكل هو ان يراعي الانسان الاسباب الظاهرة ولكن لا يعول بقلبه عليها انتهى. وليس

في قوله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا اي تذهب اول النهار خماصا اي ضامرة البطون من الجوع وترجع اخر النهار بطانا اي ممتلئه البطون دليل على عدم الاكتساب فان في قوله تغدوا وتروح شاهد صدق على طلب الرزق وان التوكل بل حق التوكل بعد الحركة وتعاطي الاسباب كتوكل الزارع بعد القاء البذر في الارض واذا قلنا بافضلية الاخذ في الاسباب كما هو راي الجمهور فقد اختلف العلماء في اطيب المكاسب وافضلها فقيل تجارة الصدق وقيل الصنعة باليد وقيل الزراعة وهو الصحيح لما يترتب عليها من الخيرات ما لا يترتب على غيرها وفي صحيح مسلم لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فياكل منه انسان ولادابة ولا شيء الا كانت له صدقة وفي رواية الا كانت له صدقة الى يوم القيامة ولا شك في تصريح هذا الحديث بفضيلة الغرس والزرع وان اجر فاعل ذلك مستمر ما دام الغرس والزرع وما تولد منه الى يوم القيامة ولا يعرف لبقية الحرف ما يوازي هاته المزية وقد ورد ان ءادم كان زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان لكل نبيء حرفة وحرفة نبينا صلى الله عليه وسلم الجهاد . هذا وما ذكرناه في تعاطي اسباب جلب النفع مثله يقال في تعاطي اسباب دفع الضر كالعلاج بالادوية والرقى بالكلام الطيب اما الاول فالمعتمد ان فعله ارجح من تركه لانه صلى الله عليه وسلم امر به فقال تداووا فالذي انزل الداء انزل الدواء وفي رواية انزل الشفاء وكان صلى الله عليه وسلم يتداوى كما امر وكان يسال الاطباء والحكماء حتى ان عائشة رضي الله عنها كانت اعلم الناس في زمانها بالطب فقيل لها في ذلك فقالت ان النبيء صلى الله عليه وسلم كان كثير الامراض وكانت الاطباء ياتونه فتعلمت ذلك منهم ويستثنى من ارجحية التداوي على تركه التداوي بالكي فانه مرجوح لما في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما الشفاء في ثلاث شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وانهى امتي عن الكي قال العيني وانما كره الكي لانه من القوادح في التوكل اذ لا يحمل عليه الا قلة الصبر لانه مؤلم والمسارعة الى المؤلم دليل الضجر انتهى . او لما فيه من تعذيب الآدمي بالنار . ومرجوحيته اذا لم يتعين للشفاء واما اذا تعين بالطريق الموصل اليه فربما يكون واجبا وعليه يحمل ما ورد من اكتواء غير واحد من الصحابة

اســـــوة الرسول

-٢-

خدم الرسول من الاحرار : من الرجال – انس بن مالك الانصاري . ومن النساء – امة الله بنت رزينة – وخوله – ومارية ام الرباب – مارية

صاحب سواك الرسول ونعلـه : عبد الله بن مسعود

صاحب خـاتم الرسول : معيقب .

صاحب بغلة الرسول : عقبة بن عامر الجهني يقودها في الاسفار

صاحب راحلـة الرسول : اسقع بن شريك كان يرحل ناقة رسول الله

حراس الرسول(١) : سعد بن معاذ – ومحمد بن مسلمة – والزبير بن العوام – والمغيرة بن شعبة – وابو ايوب الانصاري – وبلال – وسعد بن ابي وقاص – وذكوان ابن عبد قيس – وابن ابي مرثد الغنوي

امناء الرسول على اهله : عبد الرحمن بن عوف – وأبو أسد بن أسيد الساعدي – وبلال المؤذن كان امينا على نفقاته

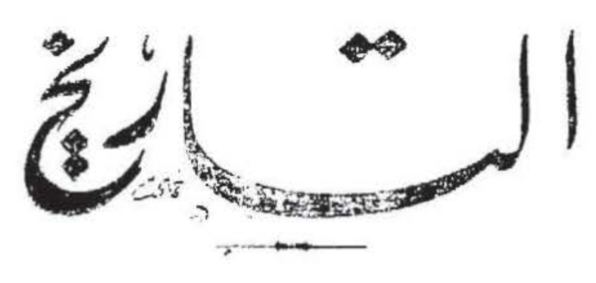
مرضعـاته : رضع صلى الله عليه وسلم من امه – ومن ثويبه جارية عمه ابي لهب الذي اعتقها لما بشرتـه بولادته صـلى الله عليه وسلم وكان ارضاعها له اياما – وثلاث نسوة من بني سليم (٢) – وام فروة – وحليمة السعدية بنت ابي ذؤيب وتكنى ام كبشة وهي من بني سعد بن بكر بن هوازن – وام ايمن وقد اختلف فيها هل باشرت ارضاعه او اقتصرت على الحضانة فقط

حواضنه : امه آمنة بنت وهب – وثويبه – وحليمه – وابنتها الشيما اخته من الرضاع كانت تحضنه مع امها – وام ايمن – بركة الحبشية وكان ورثها من ابيه

---

(١) هذه الحراسة كانت قبل ان ينزل عليه قوله تعالى : والله يعصمك من الناس

(٢) روي انه صلى الله عليه وسلم رضع منهن وهن ابكار اخرجت كل واحدة منهن ثديها ووضعته بافمه فدرت فيه فرضع منهن عليه الصلاة والسلام واسم كل واحدة منهن عاتكه وهن اللاتي عناهن عليه السلام بقوله انا ابن العواتك من سليم



الاستاذ محمد بن الخوجه

- ٢ -

حياته الادبيـة

ارتمى الى ميدان العمل والانتاج صغيرا في باكورة شبابه واستمر نشاطه في ذلك الميدان الى آخر حياته فكانت حياته الادبية طويلة مباركة خصبةموفورة النتاج وكان اقوى عنصر في تكوين ذلك التراث الادبي الواسع الذي خلفه وراءه هو عنصر العمل والعمل سجيـة راسخة في المترجم كانت لا تنفك ظاهرة عليه متميزا بها في مختلف نواحي حياته

ولعل من اقوى مكونات هذه السجية فيه - بعد حرارته العصبية الطبيعية - ماكان يملا الوسط الاجتماعي الذي نشا فيه من حزم واندفاع الى العمل في عهد النهضة الحازمة التي قاد المجتمع التونسي فيها خالد المفاخر الوزير خير الدين وقد راينا ان المترجم كان على اتصال قوي بذلك الحافز الاجتماعي الذي يحرك شعوره في البيت وفي الحومة وفي المدرسة ثم ان انتقاله من الوسط المدرسي الى الوسط الاجتماعي العام قد كان مقارنا لصلة جديدة بعنصر قوي من عناصر النهضة والعمل وهو الرئيس محمد البشير صفر الذي تاكدت علاقة المترجم بـه منذ ابتداء عهده بخدمة الادارة فكان صديقا له ورئيسا وموجها ومخرجا .

فابتدأ عمله في الميدان الادبي العام بالانضمام الى الهيأة المكونة لاول جريدة عربية حرة بتونس وهي جريدة الحاضرة التي ابتداء صدورها في ذي القعدة سنة ١٣٠٥ بادارة الكاتب الشهير اللسن الرحالة المرحوم علي بوشوشه

ومنذ صدور جريدة الحاضر وتوزع نواحي العمل بين منشئيها بدامنرجنايتوجه الى الاختصاص في الناحية التي راينا في طـالعة المقال السابق ما توفر من العوامل على توجهه الى الاختصاص فيها وهي ناحية التاريـخ

فكانت مشاركته في التحرير اولا قاصرة على ضبط الحوادث المحلية ومـا يرجع الى الاخبـار

الدولة مما يستمد فهمه وافهامه من الوضعية التاريخية للبلاد ويكسي صبغته التحريرية من ممارسته النصوص الرسمية وذوق المحافظة على ما يؤلف فيها من التقاليد

وكان قراء الحاضرة في ذلك العصر يلاحظون على هذا القلم الشاب المختص بضبط الاخبار المحلية نزعته السريعة الى احياء التاريخ التونسي وتراجم المشاهير من التونسيين بايسر مناسبة

ولكن هذا الاختصاص لم يكن حائلا بين المترجم وبين العمل في ناحية الاصلاح الحاضر على نحو ماكانت تشعر به النخبة المثقفة من اقرانه من وجوب السعي للخروج بالطبقات التونسية العامة من ظلمات الجهل والغفلة حتى تقوم على استنارة الراي العام بالحقائق وانتباهه الى الدقائق نهضة سياسية متينة الاساس

فاشترك اشتراكا جوهريا في تكوين الجمعية الخلدونية سنة ١٣١٤ بقصد ايصال المعارف العامة بالطرق السهلة الى مدارك للستعدين المعرفة المتطلعين لها ممن كان يحول دون وصول المعارف العامه اليهم ان وسائل النشر والتدريس في تلك المواد كانت قاصرة يومئذ على اللغة الفرنسوية فكان بهذا العمل المجيد وهو تاسيس الخلدونية من المؤسسين للتعليم العصري في اللغة العربية بتونس والوضعين لاساس التعليم العربي الحر وكان البشير صفر روح تلك الحركة وفكرها وكان المترجم من اعظم القوات العاملة فيها فهو المحرر للقانون الداخلي لعمل الجمعية الخلدونية واستمر عاملا في مجلسها بجد الى ان فارقها صديقه البشير صفر سنة ١٣٢٦

والى جانب العملين الجليلين في الصحافة وفي الجمعيات فتح المترجم لانتاجه بابا ثالثا كانت منزلته الادبية فيه ارسخ خلودا واعم ذيوعا وهو باب التاليف

فقد فتح هذا الباب لنفسه في مظهر بسيط حقير ثم مضى فيه بعزم ثابت حتى انتهى الى النتائج المعجبة والمنازل السامية

وابتداه بالحافز الذي وجهه الى العمل وهو الشعور الاصلاحي ثم ملك عليه الوجهة فيه دافع البيئة وظروف الحياة وملائمة الذوق الفردي فاتجه شيئا فشيئا الى ناحية التاريخ حتى اشتهر بها

كان اول تآليفه صدورا سنة ١٣١٠ وآخرها صدورا سنة ١٣٥٨ فكان موسم نتاجه الفكري ثلاثة واربعين عاما يستطيع الناظر في كتبه ان يتبين ما قطعه خلالها من اطوار الرقي في التفكير والتحرير فقد كانت له مزية عجيبة في هذا الباب تبرهن عما له من كمال العزم وسمو الادراك وهي انه دخل ميدان الانتاج ببضاعة من المعارف مزجاة فكان شغفه بالتحرير وحرصه على الاصلاح ونشر الثقافة يدفعان به الى النشر ولكن ذلك لم يكن يلهيه ابدا عن وجوب تكميل نفسه وترقية قيمة نتاجه فكان لذلك لا ينفك منكبا على المطالعة والبحث متوفرا على الناحية الثقافية العامة في مطالعاته

فلم يكن يجنح الى الدراسات المتعمقة ولا الى التحارير ذات المناهج الادبية الصرفة بل كانت وجهته الى الخلاصات العلمية والموسوعات يسد بها عوزه في التعليم الثنوي والعالي ويخرج منها مادةعذبة سائغة لافادة قرائه على نحو ما يكافئ حاجتهم ويلائم اذواقهم من تلك المعارف

فلذلك كان عارفه يلاحظ عليه انه مع اجادته للغة الفرنسوية فهو ضعيف الملكة الادبيـة فهـا غير متعلق باطوار الادب وتفاصيل حياة الادباء ومؤثرات آدابهم

ولكنه الى جانب ذلك يدرك فيه وقوفا شاملا على معلومات دقيقة في نواحي العلوم من تاريخية وجغرافية واقتصادية وحقوقية وفلكية قلما تتأتى لغير التبحرين من اهل الاختصاص وما ذلك الا نتيجة المنهج الذي وضعه لنفسه في المطالعة التثقيفية التي ملات اطوار حياتـه فرفعته الى مستوى كبار العلماء على قلة ما تردد على المدرسة وتلقى من الدروس

وان تعجب لسرعة هضم الغذاء الفكري فاعجب للمترجم رحمه الله وعلى مكتبه مختصر في فن من فنون التاريخ وامامه ورقة يسود فيها مقالا في ذلك الفن نفسه يودع فيه من معلوماته ما امدتـه المطالعة الحديثة لا عن تلخيص ولا عن ترجمة ولكنه يملي على المستفيد ما حصله ذهنه الحاد من المادة العلمية بعد ان صبغها ذوقه وطبعها طبعه فهو كآلة العمل الفلاحي التي تتولى الحصاد والدوس في آن واحد

ولا شك في ان كل مرحلة من مراحل مطالعته لا يقف مدى تاثيرها عند النتائج المقارنـ صدورها لتلك المرحلة بل يبقى اثرها راسخا في نفسه يؤثر فيما يصدر عنه في المستقبل من آثار

وبذلك كانت آثاره خاضعة لترقي مطالعاته ونسبتها من تفكيره على نسبة معينة بها يستطيع الناقد ان يضع كل اثر في منزلة معينة من المنازل الفكرية التي تطور فيها الكاتب

ومن جهة اخرى فان اغراض الكتابة ومقامات النشر قد كان لها تاثير قوي في اختلاف مظاهر الآثار الكتابية الصادرة عن قلم مترجمنا فمن البديهي ان يكون الاسلوب الذي وضع عليه اول كتبـه نشرا وهو محاورة (الشيخ عمر والحاج فتوح) حول آداب رمضان مغايرا للاسلوب الذي وضعـت عليه (الرحلة الناصرية) وان تكون الرحلة الناصرية مغايرة اسلوبا لكتـابه (سلوك الابريز الى مسالك باريز) مع ما بين الكتابين من اتحاد الموضوع تقريبا

واذا كانت سعة ثقافته كما اسلفنا من اهم المؤثرات في اختـلاف آثاره فقد كانت الرحـلات التي اتيح له القيام بها في حياته من جملة تلك المؤثرات لما للرحلة من الاثر السـامي في توسع الثقافة

فقد طال تردده على البلاد الفرنساوية من سنة ١٣١٨ وعرف منها خصائص مناطقها المختلفة وتملى من كنوزها الاثرية ومعالمها وتعددت رحلاته الى القطرين الشقيقين الجزائر والمغرب الاقصى وعرف من ممالك اوروبا سويسرا وبلجيكيا وهولاندة

ثم كانت حياته الادارية والسياسية وما اكتسب فيهما من الخبرة وما شهد من المحاضر مادة قوية ايضا لهذه الثقافة ظهر اثرها في تحاريره مقدرجا بتدرج تلك الاختبارات كما كانت المناسبات التي حملته على اعمال علمية وادبية معينة على تمام نضوج ثقافته واطراد رقي كتابته وفاتحة لابواب واسعة من الاعمال الادبية من اتصاله برئيسه وصديقه الكاتب العام للحكومة التونسية الوزير برنار روا الذي كان ذا شغف عظيم بالمباحث الاثرية والتاريخية ووجد في المترجم عضدا متينا لانجاز مراحل مهمة من بحوثه وتنقيباته

واشتراكه في لجنة تاليف الفهرس العلمي لمكتبتي الجامع الاعظم من سنة ١٣٢٢ واشتراكه في المؤتمرات والمجامع العلمية كمؤتمر شمالي افريقيا المنعقد باريز سنة ١٣٢٦ واشتراكه في مجمع قرطاجنة منذ تاسيسه وما اسند اليه من منصب تدريس الترجمة والتاريخ بالمدرسة العليا للغة والاداب العربية سنة ١٣٢٩ حيث تخرج عليه كثير من نبغاء رجال الادب والادارة لم نزل نسمع منهم الثناء على دروسه والاشادة بحسن اثره في تكوين ثقافتهم العربية وتوليه نظارة المطبعة الرسمية للدولة التونسية من سنة ٣١٩ الى سنة ١٣٣٢ وذلك ما كان له مسهلا ترويج محرراته ومعينا على احياء كثير من الكتب المهمة بعنايته مثل معالم الايمان وذيل تاريخ حسين خوجه وتاريخ الوزير السراج

نعم ان هذا النشاط العلمي العظيم الذي كان عليه المترجم قد بدا يعتريه الفتور منذ اسندت اليه ادارة التشريفات فكثرت به شواغله فترك التدريس واقل التحرير حتى انقطع عنه ولكنه لم ينقطع عن المطالعة والمراجعة والتقييد حتى كان اعتزاله حياة الوظيف العملي سنة ١٣٥٣ فرجع اليه نشاطه العلمي كاكمل ما هو واتخذ من مكتبته الانيقة في منزله مصرفا لمعظم اوقاته بين المطالعة والتقييد وتوفر على سبك ما اجتمع لديه من التقاييد في قالب المقالات والتآليف فكان الصادر عندي هذا الطور من حياته بفضل ما انتجت الاطوار الماضية من حياته كلها واهم ذلك مقالاته المتتابعة سنين في المجلة الزيتونية ثم كتابه الغزير الفائدة الذي ختم به حياته الادبية وهو كتاب (معالم التوحيد) جعله الله له فالا بالختم السعيد ولقاء الجزاء الطيب من فضله الذي ما عليه مزيد . (محمد الفاضل)

من امير الامراء اسماعيل حفصيه ،

الى امير الامراء محمد ابن الخوجه

حضرة العلامة الاعلم والبحاثة المدقق مفخرة زمانه المجتهد في اعماله لاعلاء شان دينه وبلاده امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد تلقيت بغاية الممنونية والشكر والاكبار النسخة من كتابكم – تاريخ معالم التوحيد – التي تفضلتم بتوجيهها الينا وبعد ما قرأتموها بآيات اللطف وعبارات المودة اللذيذة الخالصة فشكرا لكم شكرا جزيلا مع اعترافي لجميل عطفكم وبالها من هدية سنية اتحفتموني بها ويالها من ذخر لبناء مجد هذه البلاد وهي الذخيرة الفريدة في تاريخ الاسلام ومعالم تارخنا تشهد باعمالكم الخالدة في هداية الناس وتهذيب اخلاقكم وبكفيكم فخرا وجزاء بتذكيركم بمعاهد التوحيد لان الذكرى تنفع المؤمنين وبفضلكم سيعرف ابناؤنا فضل الاباء والاجداد فيهتدون به ويسيرون على منواله ويعملون في بناء نصيبهم من المجد وهم على بصيرة مما شيد من قبلهم ونحن نعلم ما قامت به كبيرات الدول في عصرنا هذا عصر المدنية من الاحتفالات العظيمة عند ما اسست في عواصمها اخيرا ماسموه بالدار الجامعية (La Cité Univ rsitaire) وكتابكم يبرهن بوجود عشرات الدور الجامعة التي اسست منذ ما يزيد على الف سنة مع مراعات عوائد كل قوم في المعيشة وفي الاخلاق وهذا حظنا كلما نبحث في ناحية من نواحي تاريخنا الا ويفيض علينا هذا التاريخ الماجد فيضانا الادلة والشواهد الخالدة ونحن عنه غافلون فبمثل عملكم هذا تتعظ القلوب فاللهم بارك فيكم وفي عملكم واللهم ارحم رحمة واسعة كل من شيد معلما لتوحيدك ودرس ما جاء من واسع علمك في كتابك العظيم القديم وسيرة خير خلقك واللهم اجزل فضلك ورضوانك على الاحياء الذين زادوا في عدد بيوتك لاعلاء كلمتك رحمة منك وفضلا على المؤمنين انك انت الغني الكبير وبعد فما ذا ازيد في الثناء على همتكم وعلى ما تحلى به كتابكم بتصدير الخط الشريف الذي خطته اليد الكريمة يد سيد ومولانا المعظم احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية اطال الله بقاءه ذخرا لحماية معالم التوحيد وقد خصه الله وايده بعناية ربانيه فاسس من ماله الخاص بيوتا فاخرة عامرة لتوحيد الله فاللهم بارك له ولابنائه الفخام ولكافة آله الكرام . وقد ازدان كتابكم ايضا بدرر الثناء والاعجاب من لدن اعظم رجال الدولة الاحمدية وفي طليعتهم كتاب المولى الوزير الاكبر الذي له من الفضل ما لا يحصى في سبيل مرضاة الله هذا والختام مسك ما ختم به كتابكم وشهد به لجنابكم جهابذة علمائنا الاعلام وما قالوه من القول الفصل اعترافا جميلا لعملكم الجليل وخدمتكم الصادقة في سبيل الله والسلام عليكم ورحمة الله

حرره اسماعيل بن حفصية عامل سوق الخميس تحريرا في ٢٨ شعبان وفي ١٢ اكتوبر سنة ١٣٥٨ – ١٩٣٩

تاريخ تأسيس القيروان
وسوره الى اليوم (*)

-٢-

بقلم المؤرخ الشيخ محمد طراد

ولا يخفى ان ولاية أبي زكرياء كانت في سنة ٦٢٥ خمس وعشرين وستمائة والذي نجده في عتيق الرسوم أن هذا السور الذي بني في الدور الحفصي بقي على حاله الى أن خربه مراد بو بالة ابن علي المرادي سنة ١١١٠ عشر ومائة والف لما قرب القيروان واجلى اهلها عنها فبناه ساكن الجنان المولى حسين بن علي باي مؤسس الدولة الحسينية المالكة ادام الله ملكهم عام ولايته المباركة اعني عام سبعة عشر ومائة والف وبعد اتمامه وقع قيام حفيده عليه المعروف بالباشا علي وتحصن العم بالقيروان وحاصرها الحفيد واتباعه خمسة أعوام والعم بداخلها والابواب مغلقة وبونس ابن هذا الثاني يرسل مقذوفات مدافعه الجهنمية على سور المدينة وصومعة جامعها الاعظم بما ترك شواهده بها الى اليوم وبعد سقوطها بيد هذا الثاني خربها وهدم سورها وأبوابها ولم يبق من أبوابه على حاله إلّا باب تونس الداخلي وباب الخوخة الذي سماه باب الجامع كما يأتي وباب الجلادين ولما انقشعت سحب هاته الفتنة ورجع الدر إلى معدنه واستولى المرحوم المقدس المولى محمد الرشيد باي على عرش ملك والده رحمهما الله كان أول أعماله المبرورة أن بادر بإرجاع عمران القيروان وبناء سورها على أساس والده فبقي مباشرا لذلك أعواما وقبيل إتمامه لبت نفسه الزكية داعي ربها فأتمه شقيقه ووارث ملكه المولى علي باي بن حسين باي وزاد بابا على أبوابه القديمة في الحائط الغربي مواجها لباب جامع الزيتونة سماه الباب الجديد وهاته الابواب في غاية الحسن واتقان البناء وجودة الصنع بما ترك السواح تتهافت على أخذ صورها صورا زينية وفتوغرافية فما كان من إنشاء المولى حسين باي نجد تاريخ تجديده عام ١١٨٥ ونقل جميع الابيات التي على واجهات الابواب من داخلها وخارجها يخرجنا عن الاختصار ولكن نأتي بشيء منها يكون كالانموذج بين يدي القاري فالذي بواجهة باب تونس من الداخل :

للقيروان نظام في تعجبها ... مذ أمل الباي في حسنى عواقبها
حسين بن علي من غدا ملكا ... يسير ما بين أقصاها وأقربها
أنشأ بها السور تشريفا لها رحمى ... وهكذا في الملوك شأن أنسبها

(*) تابع للمقال الذي نشر بالجزء ١ - ٢ من صحيفة ١٩ هذا المجلد

يا ربنا وابقه بالملك في دعة — من الهنا واسقه منها بأعذبها
ما دام للقيروان نور نعمته — بذكرها شرفا في سعد كوكبها
وكيف لم تشرف يوم ارخها — وكان في أول وضع يديه بها

١١١٧

وعلى هذا الباب من خارجه اسم ابنه المجدد له ونصه :

هذا الذي بسمو منشيه سما — وبحسن طلعته الزمان تبسما
ما للبلاد الباب الا هكذا — حصن وحسن فاق كل منهما
فابن الحسين علي باشا اظهرت — عزماته سورا يسرك كلما
ودعا لابواب المدينة بهجة — فاتت بجبته بوجه الانتما
يا داخلا للقيروان مؤرخا — من باب تونس جز مصانا في الحما

ونص ما على الباب الجديد المذكور

كمال السور يظهر من بعيد — بسور لاح من ملك سعيد
سليل حسين باي علي باشا — سنا العلماء ذي الراي الرشيد
له بالقيروان نظام سور — بدا كنظام عقيان بجيد
ومفتاح الفلاح سعى اليها — فحل الباب للخير المديد
من الباب المبارك جز وارخ — سنا البركات في الباب الجديد

١١٨٥

وجميع الابواب كلها عليها ابيات من داخل الباب وخارجه تتضمن اسم منشيه اما الاب او ابنه وتاريخ ذلك اما ما كان للاب فعام ١١١٧ واما ما كان للابن المذكور فعام ١١٨٥ وهو عام التجديد والفراغ من بناء السور ووجدت في بعض تقاييد قديمة حررها بعض قدماء الموثقين ان ما انشاه الاب في عام ولايته ١١١٧ صنع على يد وكيل اوقاف السور اذ ذاك الشيخ الحاج علي الاصرم والذي انشاه ابنه صنع على يد الوكيل اذ ذاك الشيخ عبد الرحمان عجاج .

ثم ان عدد ابواب المدينة في ذلك الوقت اربعة فقط وهي ١ باب تونس ٢ وباب الجلادين ٣ وباب الخوخة ٤ والباب الجديد . وبعد الاحتلال زيد باب لباب تونس . ملاصق له وزيد لباب الجلادين باب اخر ملاصق له والان فتحت فتحات في جهات مختلفة وزيد لباب الجلادين باب اخر بنهج الدباغين ومع ذلك فالمحافظة على الابواب القديمة وعلى رونقها العربي ما زالت حتى الآن والحمد لله

ثم ان التواريخ المختصة بالعام ١١٨٥ المذكور هي من انشاء كاتب الدولة في ذلك العصر الشيخ احمد سمية القيرواني الذي له مناقضات عظيمة في غاية البلاغة مع معاصره الشيخ الغراب الصفاقسي الشهير ربما تعرضت لبعضها في فرصة اخرى والله الميسر .

محمد طراد

القضاء الشرعي في القديم

ابو حفص عمر القلشاني

بقلم صاحب الفضيلة
الشيخ محمد البشير النيفر

كلمة موجزة في التعريف ببيت القلشاني

بيت القلشاني بالشين المعجمة أو القلجاني بالجيم المعجمة أيضا وكلاهما في كتب التاريخ والتراجم وغيرهما بيت من أرسخ بيوتنا المالكية عرقا في العلم وأكثرها خدمة له بالتدريس والتأليف وتقلبا في الخطط العلية السامية من قضاء وافتاء وامامة وخطابة وتدريس واصلحها أثرا في كل ما تدخل فيه واطولها عمرا في المجد الصحيح واوجهها في المغربين والمشرقين

اصل هذه الاسرة ونشأتها وتاريخ المجد العلمي فيها

اصل هذه الاسرة من قلشانة او قلجانة قال السخاوي في الضوء اللامع : بفتح القاف (١) وسكون اللام وجيم او شين معجمة اهـ. ص (٢٥٧) ج (٨) طبع مطبعة القدسي سنة ١٣٥٤ وانحدرت من باجة تونس الى الحاضرة. والمجد العلمي فيها وليد اواخر المائة الثامنة وابوه الشيخ محمد بن عبد الله بن خلف الله بن عبد السلام اورد سلسلة نسبه كما رايت السخاوي في ترجمته ص (١٠٧) ج (٨) اخذ عن الشيخ ابن عرفة والشيخ ابن حيدرة التوزري وغيرهما قال السخاوي في الضوء اللامع : وكان عالما صالحا مذكورا بالكرامات اهـ. وتوفي يوم الثلاثاء حادي عشر شهر ربيع الآخر عام ٨٣٩

وقد ترك رحمه الله ولدين يشيدان مجده ويهتديان على آثاره بعده: اباحفص عمر وابا العباس احمد وتخرج عن ابي حفص الحسن والحسين . وكانا توأمين . ذكرهما في الضوء اللامع وقال في اولهما وتميز في فنون . . . مات سنة ثلاث وسبعين عن (٣٩) سنة. وقال في ثانيهما : وكان ذا صولة واقدام على الملوك وتميز في الفقه واصوله مع مزيد كرم اهـ. وذكر قبل هذا انه مات مقتولا بايدي الفرنج في ثاني عشر شوال سنة ٩١ قبل أكمال الستين لحمله رسالة من صاحب تونس لملك الروم واخرى لملك مصر يشير فيهما بالصلح فقتلوه قبل وصوله لهما اهـ.

---

(١) كذا ضبطه في الموضوع الذي نقلنا عنه وقال في موضع آخر ص. ١٠٧ ج. (٨) بكسر اوله او فتحه وسكون ثانيه ثم معجمة معقودة بينها وبين الجيم اهـ.

وفي لهذا من العبرة ان من اهل العلم الديني في ذلك العصر من تمنعين الحكومة بـه فيما له صلة بالسياسة .

وهذين التوأمين اخ وهو محمد قاضي الجماعة وسياتي ترجمته ان شاء الله . وتفرع عن الحسن ابو محمد عبد اللطيف ذكره السخاوي في ترجمته عرضا في ترجمة البدموري فقال : واستقر عوضه في قضاء المحلة أبو محمد عبد اللطيف بن الحسن بن عمر القلشاني رحمه الله وعفا عنه اه. وتفرع عن محمد عمر ذكره الشيخ عظوم في البرنامج في مبحث الوصية المشرح فيها عدم الرجوع ، قال رحمه الله نقلا عن الشيخ الفخفاخ في حواشيه على الشامل ما نصه :

سئل الشيخ أبو حفص عمر القلشاني الحفيد رحمه الله تعالى حين تولى قضاء الجماعة بتونس في دولة المولى زكرياء في أواخر القرن التاسع إلى اواخر القرن التاسع الخ . . وفي آخر جواب الشيخ قاله عبد الله عمر بن محمد بن عمر بن محمد القلجاني مصليا ومسلما على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه اه فيكون هذا البيت انجب فيما بين القرنين الثامن والتاسع ثمانية علماء فيما علمنا وبلغ العلم فيه الى طبقة رابعة وهي طبقة عبد اللطيف بن الحسن بن عمر بن محمد وطبقة عمر بن محمد بن عمر بن محمد
وليس لعمر الحفيد هذا ترجمة في الضوء اللامع ولعله ممن توفي في القرن العاشر والظاهر انه كان من جلة علماء عصره وقد تكرر النقل عنه في البرنامج في (مبحث الوصية المشرح فيها عدم الرجوع

اما القرنان العاشر والحادي عشر فلا اذكر اني رايت كلمة فيهما عن رجل من رجال هذا البيت وقد عميت انباء اكثر اهل العلم بتونس في هذين القرنين فان ظفرت فيما بعد بما لم اطلع عليه من قبل فمجال الاستدراك واسع

واما القرن الثاني عشر فقد كان فيه من رجال هذا البيت افراد من العلماء منهم الشيخ محمد ذكره في ذيل بشائر اهل الايمان وقال في شانه : الشيخ الصالح العارف بالله السالك مسالك الطريقة والحقيقة وذكر انه كان ملازما لاقراء كتب القوم يجلس في اقرائها من طلوع الفجر الى ما بعد الشروق ويزيد على ذلك بجامع الزيتونة ثم يتصدر عقب النهار الى الغروب وانه كان فقيها عالما بالحديث وانه توفي سنة ١١٢٤ ودفن بالمويلح في طريق الحج بعد عوده

وقسم ابنه الشيخ محمد ذكره في الذيل ايضا وقال في شانه : الشاب الفقيه العارف النبيه ابو عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح الزاهد الشيخ القلشاني تزايد بمدينة تونس وقام مقام والده واحيى رسوم مواعظه بالجامع الاعظم اه.

ومنهم قاسم بن محمد لم ار له ترجمة مدونة ولكني رايت له رسالة في لو سماها « سواد العين والحاجب في نصرة العلامة ابن الحاجب » وهي تدل على مشاركة وسطى ورايت له تعليقا على حديث

من احاديث صحيح البخاري فرغ منه سنة خمسين او نيف وخمسين ومائة والف وكانت وفاته سنة ١١٨١ على ما يستفاد من تاريخ لوفاته في ابيات للشيخ ماضور يظهر انها رسمت على ضريحه منها :

ذا ابو الفضل قاسم القلشـ ـاني الذي كان للمعالي دليلا
فلكم بث من علوم وابدى من تآليف شافيات غليلا
فابسطن للدعا يديك وارخ ذا لهذا ضريح جوي اماما جليلا
٧٠١ ٣٠٨ ١٥ ٨٣ ٧٤

ولم اقف فيما بعد هذا على ذكر لمن يمت الى العلم بصلة متينة من رجال هذا البيت فيكون المجد العلمي فيه اقام يتقلب من اواخر القرن الثامن الى اواخر القرن الثاني عشر ولله عاقبة الامور

خدمتهم للعلم بالتدريس والتآليف

خدم رجال هذا البيت العلم تدريسا وتأليفا . أما التدريس فبجامع الزيتونة الاعظم أدام الله عمرانه وبعض مدارس الحاضرة ومنها مدرسة عنق الجمل التي ولي التدريس بها الشيخ محمد رأس هذه الاسرة المباركة والشيخ عمر من بعده وفي ترجمته أنه درس الفقه والاصلين والمنطق والبلاغة وغيرها وكان للشيخ عمر مشاركة في علم الطب أخذه عن الشريف الصقلي .

ومنها المدرسة المنتصرية ولي التدريس بها الشيخ أحمد ومنها مدرسة المعرض ولي التدريس بها الشيخ الحسن ودرس الشيخ محمد بن عمر بالقاهرة الفقه وأصوله والنحو والتفسير كما في ترجمته بالضوء اللامع

وأما التأليف فأشهرهم فيه الاخوان الشيخان عمر وأحمد

أما الشيخ عمر فله شرح على الطوالع إلى الالهيات في مجلد وشرح على مختصر الشيخ ابن الحاجب قال الشيخ بابا في شانه : في غاية الحسن والاستيفاء والجمع مع تحقيق بالغ ينقل كلام بن عبد السلام ويذيله بكلام غيره من الشراح كابن راشد وابن هارون والناصر المشذالي وخليل وابن عرفة وابن فرحون وغيرهم مع البحث معهم ويطرزها بنقل كلام فحول المذهب كالنوادر وابن يونس والباجي واللخمي وابن رشد والمازري وابن حبيب وسند وابن العربي وغيرهم مع البحث في الفاظ المتن إفرادا وتركيبا ما يدل على سعة علمه وقوة إدراكه وجودة نظره وإمامته في العلوم.

وأما الشيخ أحمد فله شرح شهير على الرسالة للشيخ ابن أبي زيد رضي الله عنه وشرح على مختصر ابن الحاجب .

يتبع

تصويب اخطاء وقعت في الجزء ٦ المجلد ٥

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠١	١٢	عزيز	عزيز
١٠١	١٥	منتزعين	منتزعتين
١٠١	١٨	كمل الاسد	كمثل الاسد
١٠١	٢٨	والسيد حام	وبالسيد وحام
١٠٢	٢٣	بالذيال	بالذبال
١٠٢	٢٤	تحتملها	تحتملهما
١٠٣	١٧	جئناكم	جئتكم
١٠٤	٢٣	نسب	نشب
١٠٥	٧	سادحا	سادما
١٠٨	١٧	دون الظرف	دون في الظرفية
١٠٨	١٨	بالظرف	بفي الظرفية
١٠٨	٢٠	عليه الظرف	عليه في الظرفية
١١٠	٥	حم (مرتين)	حاميم (مرتين)

نبذة من ترجمة

الشيخ معاوية التميمي

في ليلة السبت موفى شهر ربيع الانور الفارط انتقل الى رحمة الله تعالى وسعة رضوانه العلامة النحرير الشيخ معاوية التميمي المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة فتصدعت لوفاته اندية العلم والادب وحل الاسف والاسى في نفوس شيوخه وتلامذته واصدقائه الكثيرين بن محل الامل بشفائه من المرض العضال الذي لازمه المدة الطويلة فذرفت العيون لفقده ونطقت الالسن بتعداد خصاله وكمالاته نثرا وشعرا

دخل الفقيد الى جامع الزيتونة عام ١٣٢٤ فزاول العلوم على علماء عصره كالشيخ عثمان بن المكي والشيخ الصادق النيفر والشيخ محمد بن القاضي والشيخ عثمان بن الخوجه رحمهم الله تعالى وتحصل على شهادة التطويع عام ١٣٣٢ فانتظم في سلك المتطوعين الاعيان المشار اليهم بالبنان وانكب على دروس التعليم العالي بجد واجتهاد يحضر جميع دروسه فما من عالم يقرىء درسا في العالي الا والشيخ معاوية هو صدر الحلقة فقرا التفسير على المقدس المبرور شيخ الاسلام الشيخ محمد ابن يوسف والمنعم الشيخ محمد النخلي والحجة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور متعنا الله بطول بقاءه

وقرأ الحديث على المنعم الشيخ ابراهيم المارغني وشيخ الشيخ محمد الصادق النيفر والمنعم الشيخ ادام الله النفع بهما

محمد النخلي وشيخي الاسلام الشيخ بلحسن النجار ابقاهما الله والشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

وقرا الاصول على المنعم الشيخ محمد بن يوسف والمنعم الشيخ محمد ابن القاضي والمرحوم الشيخ محمد النخلي والعلامة الشيخ بلحسن النجار

وقرأ اللغة وعلومها وآدابها على العلمين المنعم الشيخ محمد النخلي والحجة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . وفي سنة ١٣٣٣ اذنت له النظارة العلمية في مباشرة التدريس بصفة متطوع فاقبل على التدريس بهمه علية وجد واجتهد واقبل عليه التلامذة يكرعون من حياضه فكان يقضي سحابة يومه بين تعلم وتعليم. وحبب اليه الادب فعمر فراغ اوقاته بالانكباب على مراجعة نصوصه حتى اصبح من الادباء المشهورين وقال الشعر الرقيق وان لم يكن من المكثرين في نظم القريض وعقد المجالس الادبية بمسجد القبه يحضرها ادباء عصره ويامها الوافدون من بلدان المملكة وخارج المملكة وبذلك حصل الشيخ معاوية على شهرة واسعة في العلم والادب

وفي عام ١٣٤٣ شارك في مناظرة التدريس في العلوم فاحرز على قصب السبق وصدر له الامر

العلي في ولايته مدرسا مالكيا من الطبقة الثانية. وفي نفس السنة أسندت له امامة الجامع بباريز وهو اول امام تونسي انتخب لهذا المنصب فسافر الى باريز للقيام بوظيفه الجديد وقد ابقت له الحكومة وظيفه الاصلي كمدرس بجامع الزيتونة مع الترخيص له في عدم المباشرة. وحياة الفقيد بباريز قد سطر جملة صالحة منها الاستاذ عثمان الكعاك يجدها القاري في المقال الموالي لهذا . وفي عام ١٣٦٢ شارك الفقيد في مناظرة التدريس من الطبقة الاولى فاحرز عليها وصدر له الامر العلي في ولايته مدرسا من الطبقة الاولى ولكنه مع كل الأسف منذ هذه الولاية اشتد به المرض الى ان حضره الاجل المحتوم

وللفقيد رحمه الله مشاركة فعلية في الحياة العلمية والاجتماعية العامة فقد شارك في الجمعيات العلمية وانتخب عضوا ونائب رئيس للجمعية الخلدونية وشارك في العمل الصحافي كمحرر ومصحح كما اسند له وظيف مصحح بمطبعة النهضة عند تاسيسها وراقب تصحيح عدد من الكتب التي طبعت بها

وانتخب عضوا في لجنة التعريف بكتب المكتبة الاحمدية بجامع الزيتونة والمكتبة الصادقية بالعبدلية وتدوين فهارس لهما. كما عين عضوا في لجنة نشر المخطوطات القديمة التونسية وتولى الاشراف على طبع كتاب رحلة التجاني وتصحيحه كما عهد اليه تصحيح كتاب تخريج الدلالات السمعية وتصديره مقدمة والتعريف بمؤلفه وقد تم طبع الكتابين ولكن المقدمة التي طلبت منه بقيت عند الفقيد لم تطبع لسوء تفاهم وقع بينه وبين المتولي مراقبة الطبع وعدم ظهور الحرص من طرف لجنة المخطوطات التي نسجت عليها عناكب النسيان غطاء كثيفا وتركت اعمالها في زوايا الاهمال.

كما انتخب عضوا بجمعية الحرمين الشريفين وسافر في وفد الجمعية الى المغرب الاقصى وحضر مؤتمر الجمعية الذي انعقد برباط الفتح

وبالجملة فقد كانت حياة الفقيد حافلة بالاعمال العلمية والادبية وقد ترك ذكرا جميلا بين عارفي خصاله ومزاياه رحمه الله رحمة واسعة .

ملحوظة

لاحظ لنا امير الامراء سيدي محمد الصالح مزالي وزير الاوقاف ان ما جاء في قائمة الملوك الحسينيين من ان مدة المولى علي باشا فيها نقص خمس سنوات

وجوابنا على هذه الملاحظة ان ما اثبتناه في مدة هذا الملك باعتبار ان مدة الباشا مبدؤها سنة ١١٥٣ وهي السنة التي قتل فيها عمه المولى حسين واما السنوات الخمس فان عمه كان فيها ملك بمدينة القيروان وما انضم اليها من جهات المملكة.

واما البيعة التي وقعت للباشا فهي بيعة خاصة من الجهات التي تغلب عليها فلم يملك زمام الحكم بالايالة عامة الا بعد مقتل المولى حسين وهذا الاعتبار له نظائر وفي مقدمتها مدة خلافة معاوية رضي الله عنه فان المؤرخين يعدونها من تنازل سيدنا الحسن رضي الله عنه. وابراهيم العباسي لم يعدوه خليفة في الدولة العباسية لقيام الخليفة الاموني مع وجود البيعة له من اشياعه. على ان الباشا نفسه نقش على خواتيمه سنة ١١٥٣

الشيخ معاوية التميمي

بمدينه باريس

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك

نحن في عشية من عشايا شهر ماي ١٩٢٨ بمدينة باريس وكانت عشيتنا جميلة رائقة قد بلل الرذاذ اشجار بستان النباتات وازهاره ونقط نقطا فوق سواد الشوارع المقيرة فدخلنا مقهى السيدر بين حديقة الحيوان والجامع وجلسنا حول منضدة وكنا رفقة من طلبة الطب والحقوق والادب بين تونسيين وجزائريين ومغربيين مع بعض السوريين والعراقيين . اذ دخل علينا الرفيق ع . في مثل عصفة الريح وقاطع احاديث المتحدثين ولعب العاكفين امام رقعة الشطرنج وقال : « ان الشيخ معاوية التميمي ها هنا» فاندهشنا لهذا الخبر بقدر ما سررنا وخففنا للاستطلاع فاذا بالشيخ يجتاز باب المجلس . واذا الشيخ كما عهدناه قد ارتسمت على وجهه ابتسامة دائمة وارتفع حاجباه في شبه نكتة استفهام زارية كث اللحية اسودها . ادعج العلينين . معتلئا صحة على راسه عمامته البيضاء الناصعة المستوية الطيات المستقيمة الوضع وعلى كتفيه برنسه الابيض الصوفي متساوى الاطراف منتظم الهيات قد انفتح عن جبة مشرقة اللون تهدلت منها اهداب الشموس

فبادر الينا بعجلة وئيدة وازدادت ابتسامته المشرقة على محياه الاسمر ، وانطلق لسانه بالتحيات المنهمرة . وسلم علينا فردا فردا وتعرفنا واحدا واحدا وسألنا عن أخبارنا الشخصية والتعليمية وتلطف فنقل الينا أخبار عائلاتنا وأصدقائنا بظرف غير متكلف وكياسة ليست فيها مسحة اصطناع وتواضع وقور واسترسال ميزن . ثم جلس إلى جانبنا وقد غمرناه بالتحايا والاسئلة وعبارات الترحيب ومعاني الابتهاج مندفعة من فؤاد كل واحد منا اندفاع السيل وهو يجيب كل واحد ويجيب الجميع بدون ضجر ولا سآمة بل يسبق إرادة السائل ويؤنس المحتشم بالكلام اللطيف .

❀❀❀

في مساء الخميس دخلت نزل الكانرفاج على مقربة من الجامع وتناولت البريد من حق الطارمة ورفعت مفتاح الغرفة بيد عجلى وتسلقت المدرج اذ كان المصعد معطلا فكنت اطلعه اربعا اربعا اورق البريد بشوق ولا اتعرف منه شيئا اذ قاطع صعودي الخاطف واستطلاعي المتسرع الرفيق ط . وقال لي : « العلك تطالع دعوة الشيخ معاوية ؟ » قلت : « كلا . واية دعوة تريد ؟ » « عجبا ! اني ارى بيدك البريد وانت تتلقفه من يمين الى شمال وتفضه باظفارك فضا سريعا منكرا

ولا تعلم ان بينه دعوة من الشيخ معاوية ؟ . هاها ! لقد انساك بريد الخطيبة غيرة من البريد ! هاها!
وواصل هدوره وهو يلتفت الى من درجة الى درجة ويضحك

ـ . . . . . افقت من غيبوبتي وامعنت النظر في البريد رسالة رسالة فاذا به ـ فعلا ـ رسالة عليها عنوان الجامع واذا في الرسالة مكتوب « سنجتمع غدا ان شاء الله لصلاة الجمعة . لا اقدر ان اصف بالقلم ما اعتراني من العواطف في ذلك الحين هاجت في العاطفة الوطنية التي اثارت في نفسي عاطفة دينية قوية جدا شعرت بها اني ذرة لها قيمتها من عالم فيه خمسمائة مليون من الذرات مثلي اسمه العالم الاسلامي وشعرت بان هذا العالم متماسك الذرات قوي اللحمة بينها . وعلمت عندئذ ما هو معنى الود الكامن في ضميري الباطن الذي كنت احمله للعراقي وللسوري وللفارسي وللتركي وللبوغسلافي وبعد ان ثابت بي هذه العاطفة الدينية العنيفة المكتنزة القوية بميراث اربعة عشر قرنا انبهت ذاكرتي وحولتني الى عشر سنوات ماضية حينما كنت مكبا على دراسة رسالة ابي زيد على شيوخي المحترمين فكان دروسها قد حضرتني وكاني راجعتها بعناية ذات الصباح لاعرضها على الشيخ المدرس قبل ذات الزوال راجيا عددا صالحا للحظوة بالجلوس على خوان الشرف .

عندما اقتربت من غرفة الصديق ر . بالطاق الثاني سمعت جلبة سرور تساوقا ضحكات فطرقت الباب . ثم دخلت فوجدت الجماعة يتحدثون في موضوع الدعوة . وقد ابتهجوا بهذ الاشتراع . قال ا . ب زعيم الشبيبة المغربية :

« هذا الشيخ حي يقظ شاعر بواجبه نحو ابنائه من الشبان مدرك لعظيم المسؤولية الملقاة على عنقه في مدينة النور التي بها جاليات اسلامية عديدة ومختلفة تنسب الى كل صقع من اصقاع المعمورة . وانا ساساعده في هذا المشروع الذي هو اقامة الشعائر ولا سيما الصلاة التي هي عمود الدين . الى الملتقى الآن ايها الاخوان »

ـ . . . . . والى اين ؟ يا احمد ؟

ـ الى اخواني المغاربة من طلبة ومن تجار ومن عملة . سآخذ الآن (التاكسي) الى سوربن انبه العملة الى الاستعداد لصلاة الجمعة اما علي وعبد الخالق وعمر وبقية الطلبة فسالاقيهم بمطعم البولميش عند الغذاء وعلى كل حال اذا لاقاهم منكم احد فلتعلمهم » . . . . وخرج في حماس واعتزام

قال صديقنا الطبيب اليوغوسلافي في عربية فحة وصريحة ـ وقد حجر علينا منذ زمان استعمال غيرها معه او فيما بيننا ـ والله يا اخواني لقد كنت اذهب الى صلاة الجمعة فلا احد بها الا نفرا بعدد الانامل فيكدني في ذلك غاية الكدر . اما الآن فقد زال عني هذا القلق الاليم . وانا مسرور غاية السرور

قال صديقنا الطبيب اليوغوسلافي في عربية فحة وصريحة ـ وقد حجر علينا منذ زمان استعمال

غيرها معه او فيما بيننا — والله يا اخواني لقد كنت اذهب الى صلاة الجمعة فلا اجد بها الا نفرا بعدد الاناصل فيكدرني ذلك غاية الكدر . اما الآن فقد زال عني هذا القلق الاليم . وانا مسرور غاية السرور . ومما زادني سرورا ان لي صديقا من سكان دلماطيا ينوي الاسلام ولم يعقد عزمه في ذلك لانه يريد ان يسلم على يد رجل من رجال الدين . وهو اول دلماطي يسلم . وارجو ان يجري على سنته الكثيرون . والآن انا ذاهب الى نزله لياتي في عشية الغد ويسلم على يدي الشيخ . »

— مرحى ! مرحى !

— ليحيى الاسلام ! ليعيش الشيخ معاوية زعيمنا الديني »

.... واختلطت الاصوات بالهتاف

• • •

بقيت انا في حيرة امام مصاعب مادية ظهر كانها صعبة التذليل .

ليست لي ثياب عربية . وعلى الخصوص ليست لي شاشية ... فكيف العمل ؟

انسللت مع العتمة من النزل الى الجامع والمسافة بينهما عشرة امتار . وطلبت مقابلة الشيخ . وما ان دخل المزوال للاستئذان حتى خرج بنفسه وهو ينادي « تعال — تعال — تعال — اهلا وسهلا ومرحبا تفضل هذا بيت الله وانا ابو الجميع . تفضل .

« يا سيدي الشيخ انني خجل جدا . ومحتار غاية الاحتيار .... وتلعثمت .... وانا ... آ .... اريد .... آ » فضحك الشيخ وقال :

« انت تريد الصلاة غدا . وهذا فرض واجب . ثم احترت من امر الشاشية فهون عليك . اما اولا فان منديلا طاهرا يجزيك . واما ثانيا فان لي شاشية فوق العدد . والاثنها قياسك . فهاهي ولي جبة ايضا . على اني فكرت في الامر جيدا . وخشيت ان تكون هذه العقبات المادية مانعا لكم عن القيام بالفرض . ولا شيء يجب ان يقف مانعا دون القيام بالفرض . فالدين يسر لا تعسير فيه والغربة والدراسة تقتضيان صورا من التسامح

• • •

المعهود ان الحمام الملحق بالجامع محشر للسواحين الذين اختلفت اجناسهم واذواقهم . ولم تكن هذه صعوبة لنا . فان كل غرفة من غرف النزل مردفة بمطهرة ومغطس مع جميع ادوات الاستحمام واذ قد راجعت بعناية ودقة باب الصلاة من الرسالة . واذ قد تحصلت على الثياب اللازمة واذ قد امرت غلام النزل باعداد المستحم لساعة باكرة من الصباح فلم يعد لي ما يقلق بالي من هذه الناحية فغادرت النزل واخذت سبيلي الى المطعم . فاخترقت شارع مونج وبلغت الكوليج دي فرانس واجتزت

البول ميش واخذت محفظة كلية الطب ودخلت المطعم اليوناني فوجدت البعض من الرفاق قد تقدمني وجاء خادم المطعم بحساء الارز مدخنا واذا بالسيد الطاهر الصباغ مثال الكياسة وينبوع الادب ومعدن اللطف يدخل غرفة الطعام كانه عملاق من العمالقة ويقول بصوت مرتفع كأنه يخطب في هذه الجماهير من اليونان والروس والسويديين والبرازيليين ـ وهو بالحقيقة يقصد الطلبة المسلمين ـ

« يا جماعة ! السلام على من اتبع الهدى . ان حمام الجامع لا يقبل غدا غير المسلمين الذين يريدون الوضوء الاكبر . هكذا امر الشيخ معاوية وقد احسن . اما الطلبة فيطرح لهم نصف الثمن . يا جماعة لقد امرت عملة الحمام باعداد اللوازم . ثم ينشد بصوت عال وقد نسي انه في مطعم يوناني ، فيه جمعية امم من الناس .

ما احسن الدين والدنيا اذا اجتمعا واقبح الكفر والافلاس بالرجل

● ● ●

بيت الصلاة غاص بالخلائق من العامل في مصانع الكهرباء الى قناصل الدول الشرقية بدون فرق ولا تمييز . والصحن الاول مكتظ بالصفوف المتراصة . واروقة الصحن الثاني وفناؤه لا تجد به شبرا خاليا والناس كأن على رؤوسهم الطير .

خطب الشيخ معاوية التميمي خطبة جمعت بين بلاغة العبارة وسهولة الفهم وطرافة الموضوع : « ما هي واجبات الغريب في البلاد الاجنبية » هي ان يتمسك باهداب دينه ويعض عليها بالنواجذ وان يعتز بمدنية قومه في غير مكابرة وان يستقيم في سلوكه حتى يفرض على الاجنبي احترامه ويعطي صورة حسنة من بني جنسه وان يقبل على العمل لاكتساب الرزق من وجوه الحلال . وان ينضم الى العائلة الاسلامية التي لا شعوبية لها والتي لا ترى فضلا لعربي على عجمي الا بالتقوى وان يتكاتف المسلمون كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا وان يكون بعضهم لبعض ظهيرا .

ثم عرج على واجبات الطالب في البلاد الاجنبية فهو داخل في عموم احكام المسلمين في الغربة من وجوب التمسك بالدين والتشبث بالاتحاد المقدس . ثم هو لابد له من ان تستقيم سيرته وان يقبل على دروسه بمزيد العناية ليحصل على اعظم جانب من العلم وان يعتبر نفسه جنديا مجاهدا في ميدان العرفان وان يفكر من حينه في انه سيرجع الى وطنه لينفع وطنه ويكون عضوا صالحا في المجتمع ويقترن ببنت بلاده المسلمة

ادرك المصلون هذه المعاني ظاهرها وباطنها وتصريحها وتلميحها واعتمدوها كاحسن خطة في حياة الغربة وكاحسن منهج في الحياة مطلقا

وتفرق النـاس بعد الصلاة يتعرف عربيهم بالصيني والتونسي بالجاوي والعراقي بالمغربي وهم

يدركون في الوقت نفسه عظمة الرابطة الاسلامية وقوة الاسلام في العالم وقيمة خطبة الشيخ الامام في تعزيز تلكم الرابطة وهذه القوة. وتكونت من ذلك الحين صداقات متينة بين اجناس مختلفة من المسلمين لا ترتبط بينها الا صلة الدين - ونعم الصلة - ولا تجمع بينها الا رابطة اللغة العربية التي لم يكن احد يجهل!

❀ ❀ ❀

دعا الشيخ نخبة من الشبيبة المدرسية للغذاء على مائدته، فجلس التونسي الى جانب اليوغوسلافي وقابل المغربي الصيني، وكان الشيخ ابرع خلق الله في حديث المائدة يسبك النصيحة في قالب التلميح الفكاهي ويعرج بارتباط المسلمين فيفهم الناس ما بين الحروف، ثم قال: « انني ابو الجميع الروحي، فمن اغلق عليه درس لغة او ادب او احتاج الى تمكن في لغة وادب فانا على اتم اهبة لمساعدته، ومن احتاج الى كتاب او اصلاح مسامرة في ناد فانا عضده، ومن اغلق عليه امر من امور دينه فافتقر الى ارشاد ونصيحة فانا مرشده اذا شاء

فعلمنا كلنا ان الشيخ معاوية التميمي لم يكن يفهم وظيفة الامامة بجامع باريس كوسيلة من وسائل المعاش بل كرسالة عظمى كبيرة المسؤولية ثقيلة الاعباء وعرة المسلك، فهو يحث الناس على تعلم العربية ويجمع بين القول والعمل ويحثهم على القيام بفروض دينهم ولا يقف عند حد النصيحة المجردة ويبين لهم مناهجهم في حياة الغربة ويسهر على تطبيق هذا المنهاج بارادة حديدية غلفت بالحرير الناعم ورصعت بالابتسام الآمر.

ثم خرجنا بعد الشكر فوجدنا على باب الجامع الخارجي معلقة فيها « لا يدخل هذا الجامع في اوقات الصلاة غير المسلمين » فنظرنا الى بعضنا نظرة عميقة الدلالة.

❀ ❀ ❀

ذهبت الى المكتبة القومية فوجدت الشيخ معاوية منغمسا في المخطوطات النادرة والى جانبه الكتبدار الاختصاصي في القسم العربي بكرم وفادته ويخدم ارادته بما عهد في الباريسيين من لطف نادر تتعجب منه.

ذهبت الى متحف اللوفر فوجدت الشيخ معاوية يتامل بامعان في العاريات الاسلامية

ذهبت الى المسرح الكلاسيكي فوجدت الشيخ معاوية يحضر رواية كرناي ويدرس بفكره الثاقب نبوغ الممثلين في الاخراج والالقاء وحركات الوجه.

ذهبت الى بستان النبات فوجدت الشيخ معاوية مقبلا على درس النبات والحيوان متنقلا بين اروقة متحف العلوم الطبيعية من قسم التشريح البشري ووظائف الاعضاء وطبقات الامم وعادات الشعوب الى قسم الحيوانات البائدة الماثلة هياكلها العظمية.

واذا كنا في درس الفارسية بمدرسة اللغات الشرقية تقرا شعر الفردوسي على العلامة محمود قزويني

خان اذ دخل الشيخ معاوية وجلس في ركن القسم ينظر الى خرايط صور المدن الفارسية والآثار العجمية . فتلطف الاستاذ قزويني وصار يترجم شعر الفردوسي الى العربية فامتلك بذلك اهتمام الشيخ معاوية ودار الحديث بينهما اثر الدرس في ردهة المدرسة فلم يغادرا موضوعا من مواضيع الاداب الاسلامية الا طرقاه . ولست ادري هل كان الشيخ معاوية بفصاحة الاستاذ القزويني اشد اعجابا ام كان القزويني من سعة اطلاع الشيخ معاوية اكثر اندهاشا .

***

يقل الرتل من المحطة الى مرسيلية في الساعة التسعة والنصف مساء . وقد حضر الاخوان لتشيعنا ، ووعدنا البعض بزيارة تونس . واقسم ا . ب المغربي على ذلك ورأينا العزيمة في عيني الطيب اوكيتش اليوغوسلافي امضى وكنا بين عاملي مفارقة الاخوان والحنين الى الاوطان . واذا بنا نرى الشيخ معاوية يتسلل ببرنسه بين عربات الحمالات ويتخطى جموع الراكبين والمشيعين والابتسامة لم تفارق محياه . . . . هو ايضا تلطف فجاء لتوديعنا فانحدرت دموع منكتمة من شدة التأثر . . .

وسار القطار بين صفير القاطرة وازيز العجلات على السكة وهتاف المشيعين وآخر عبارات التوديع ولم تمح صورة الشيخ الا عند ما لاح البحر وزفرت الباخرة فالتفت الى عبد الرحمن بعد ان قذف قبعته في البحر وقال : « والله ان الشيخ قد قوى ايماني وحبب الي العربية والمسلمين »

مجلة الاديب

من بين المجلات العربية التي تصدر في الشرق العربي مجلة الاديب التي تصدر في بيروت عاصمة لبنان لصاحبها البير اديب وهي مجلة شهرية للادب والعلم قد حمل لنا بريد الشرق الجزء الاول والثاني من مجلدها الثالث فنرحب بها وقدمها لقراء المجلة واصفين بعض ما اشتملت عليه من المواضيع القيمة وطريقة الكتاب الذين يتولون تحريرها . فهي مجلة يحرص المحرر فيها على توخي ضروب التجديد في الادب على الطريقة الاروبية كما يحرص صاحبها على التفنن في اخراج اعدادها وعلى تنويع الموضوعات الفنية والاجتماعية والعلمية وشيء ليس بقليل من الشعر الحديث القائم على عدم التقيد باوزانه وقد اشتمل العدد الاول على مقال في الحرية بقلم عمر فاخوري ـ والتحالف العربي لابي عز الدين ـ وما يفعله العلماء ـ وعهد الانبعاث في الادب العربي وخضوع الذكاء لمقاييس علم النفس . والثاني على مقال حول الثقافة اللبنانية ـ والاكسير على ضوء العلم الحديث ـ والشمس الى غير ذلك من كل طريف والمجلة تهنئ زميلتها بدخولها في عامها الثالث وتتمنى التوفيق للاديب في خدمة العلم والادب والنجاح المطرد



موشح ابراهيم بن سهل الاسرائيلي

الاشبيلي الاندلسي ومعارضاته

هل درى ظبي الحمى ان قد حمى   قلب صب حله عن مكنس
فهو في حر وخفق مثلما   لعبت ريح الصبا بالقبس

• • •

يا بدورا اشرقت يوم النوى   غررا تسلك بي نهج الغرر
ما لنفسي في الهوى ذنب سوى   منكم الحسن ومن عيني النظر
أجتني اللذات مكلوم الجوى   والتداني من حبيبي بالفكر

• • •

كلما اشكوه وجدي بسما   كالربا بالعارض المنبجس
اذ يقيم القطر فيها مأتما   وهي من بهجتها في عرس

• • •

غالب لي غالب بالتؤده   بابي افديه من جاف رقيق
ما علمنا مثل ثغر نضده   اقحوانا عصرت منه رحيق
أخذت عيناه منه العربده   وفؤادي سكره ما إن يفيق

• • •

فاحم اللمة معسول اللمى   ساحر الغنج شهي اللعس
وجهه يتلو الضحى مبتسما   وهو من اعراضه في عبس

• • •

أيها السائل عن جرمي لديه   لي جزاء الذنب وهو المذنب
أخذت شمس الضحى من وجنتيه   مشرقا للشمس فيه مغرب
ذهب الدمع باشواقي اليه   وله خد بلحظي مذهب

• • •

ينبت الورد بغرسي كلما   لاحظته مقلتي في الخلس
ليت شعري اي شيء حرما   ذلك الورد على المغترس

• • •

كلما اشكو اليه حرقي   غادرتني مقلتاه دنفا
تركت الحاظه من رمقي   اثر النمل على صم الصفا
وانا اشكره فيما بقي   لست ألحاه على ما اتلفا

فهو عندي عادل ان ظلما   وعذولي نطقه كالخرس
ليس لي في الامر حكم بعدما   حل من نفسي محل النفس

❀ ❀ ❀

اضرم الدمع باحشاءي ضرام   تتلظى كل حين ما تشا
هي في خديه برد وسلام   وهي ضر وحريق في الحشى
اتقي منه على حكم الغرام   اسدا وردا واهواه رشا
قلت لما ان تبدى معلما   وهو من الحاظه في حرس
أيها الآخذ قلبي مغنما   اجعل الوصل مكان الخمس

❀ ❀ ❀

وقد عارضه كثير من الشعراء على رويه وقافيته اولهم ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب بموشحه المشهور الذي طالعه

جادك الغيث اذا الغيث همى   يازمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما   في الكرى او خلسة المختلس

❀ ❀ ❀

كما عارضه ابو العباس (احمد بن ابي الضياف) بموشح قاله وهو بساميو يتشوق الى تونس . ونصه :

تونس الانس لها شوقي نما   نزهة النفس وروح النفس
اهلها اضحوا نجوما في سما   سطعت منهم بعقد انفس

❀ ❀ ❀

بلدة طيبة قد جمعت   من وجوه الحسن ما سبا الاريب
زانت الارض بها وارتفعت   ولسكناها غدا يصبو الغريب
اضحت شمس الضحى اذ لمعت   من بعيد حين تبدو او قريب

❀ ❀ ❀

كم بها من احور قلبي رمى   بفتور ونبال من قسي
نالت المرمى ولم ينفع حمى   لاحمى من فاتك في الانفس

❀ ❀ ❀

يارعى الله لياليناً بها   وبدور الكاس يبديها النديم
تتهادى في حلى اثوابها   زانت الانوار من ذاك الاديم
جاءت اللذات من ابوابها   هكذا اللهان من العهد القديم

❀ ❀ ❀

فاغتنمها وارتشفها كلما   لثمت بالورد خد الاكؤس

واتخذها لسرور سلما انما الراح حياة المجلس

❀ ❀ ❀

بين خلان لهم صفو الزمن عقروا الهم بسيف ذي فقار
لن ترى في جمعهم الا الامن واحاديث على صفو العقار
تجد الروح لهم ادنى ثمن فاشرب الصرف على نقل المقار

❀ ❀ ❀

وامزجنها برحيق من لمى حول ورد في عذار الغلس
لاتزوج بكرها بابن السما رونق الحسن لها بالعنس

❀ ❀ ❀

واجذب العود فمن نغمته يفزع الهم الى اقصى مفر
واسمع الالحان في ذمته بجور في امان وظفر
وانظر الاوتار في لمته شرك الانس اذا الانس نفر

❀ ❀ ❀

واغنم اللذات والصفو نما لمشير نبته في تونس
احمد الباشا المشير المنتمى حامي القطر بنصر قدسي

❀ ❀ ❀

ملك وابن ملوك ذكرهم ملا للغرب وزاد المشرقا
اسسوا المجد وهذا فخرهم مثل بدر في نجوم اشرقا
منهم الفخر ومنهم بدرهم قطرهم من نجلهم قد برقا

❀ ❀ ❀

نثر الفضل وجندا نظما مثل نار في هشيم اليبس
اتقن الترتيب فيما احكما يجلب الامن لعين النفس

❀ ❀ ❀

فاسكن الخضرا وخامر خيرها والبس الامن بها والعافية
واشكر النعمة واعرف سيرها هي للجاحد حقا نافية
واذا لامست صقعا غيرها قلت من شوق لتلك الضافيه

❀ ❀ ❀

تونس الانس لها شوقي نما نزهة النفس وروح النفس
اهلها اضحوا نجوما في سما سطعت منهم بعقد انفس

تنبيه

وقع غلط في قائمة ملوك الدولة الحسينية رسم كذا : وابن عمه احمد والصواب كذا: وابنه احمد

مكتبة التلميذ

الزيتوني

لقد توفق نخبة من تلامذة الكلية الزيتونية فاسسوا مكتبة تمد ابناء المعهد بنفائس الكتب المطالعة وتسهل عليهم مراجعة النصوص العلمية والادبية وتمكنهم من توسيع معلوماتهم الثقافية.

وقد اسسوا لها قانونا اشتملت بنوده على جملة صالحة من النظم نخص بالذكر منها ما يتعلق بانتاج التلاميذ، فقد احتوى هذا القانون على فصل يقتضي ان التلميذ عليه ان يقدم لهيئة مجلس المكتبة تحاريره بعد مطالعاته للكتب التي استعارها لتكون مطالعاته لها ثمرة وانتاج والمجلس يستعين بهيئة تعرض عليها التحارير لتقول قولها فيها وتبدي ملاحظاتها ثم تعرض التحارير والملاحظات على مشيخة الكلية التي لها القول الاخير.

رخصت الحكومة لهذه المؤسسة بصفة رسمية وانشئت المكتبة بنهج الكنيسة عدد ٩٥ جوار ادارة الاوقاف حيث كان كتاب « السبعي » الشهير وقد ضمت المكتبة عددا حافلا من الكتب القيمة جميعها من المطبوعات ويسهر على نظامها مجلسها الذي يتركب من نخبة من تلامذة المعهد المشهورين بالانقطاع للعلم والاقبال على دروسهم وبرئاسة النجيب الشاب حمده سليم وقد اظهر من الحزم والنشاط والاخلاص ما نذكره بكل اكبار واعجاب وقد ظهرت باكورة اعمال المكتبة في احتفالها الاول الذي اقامته يوم الجمعه السابع والعشرين من جمادى الثانية عام التاريخ بصحن المدرسة الخلدونية وتراسه صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي شيخ الجامع الاعظم وفروعه وحضره نائب شيخ الجامع الشيخ علي النيفر وثلة من المشائخ المدرسين وتلامذة المعهد. فخطب فيه شيخ الجامع خطابا رسميا منوها باعمال مجلس المكتبة مقدرا مجهودات التلامذة الذين اقبلوا على المكتبة مثنيا على ما قدموه في بحر السنة من التحارير النفيسة مستبشرا خيرا بمستقبل المكتبة. ثم خطب رئيس مجلسها واعضاؤه ثم وزعت الجوائز على المبرزين من التلامذة الذين رسمت اسماؤهم في قائمة التحارير التي قدمت لهيئة مشيخة التعليم بالكلية ونالت الاستحسان. وختم الاحتفال بالدعاء لهيئة المكتبة بالتوفيق ودوام النجاح

والمجلة تهنئ رئيس المكتبة واعضاء مجلسها وتتمنى لهم اطراد النجاح وتدعو الطبقة المثقفة لتمد هذه المكتبة الفنية بالاعانة وتهاديها بما تجود به هممهم من الكتب التي تعين تلامذة المعهد على تنمية ثقافتهم وتوسيع دائرة معارفهم وما ذلك على امثالهم بالامر العسير

في مكتبة التلميذ الزيتوني

خطاب شيخ الجامع

الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالقي

حمدا لله — والصلاة والسلام على رسول الله

اما بعد فبمناسبة قرب انصرام السنة التدريسية للجامع الاعظم وفروعه تحتفل اليوم لجنة مكتبة التلميذ الزيتوني بختم السنة الدراسية

شاكرة لملبي دعوتها من السادة الفضلاء الاجلاء ومشرفيها بحضورهم

عارضة على انظارهم برنامج جهودها في بحر السنة الراحلة وما اسدته لعموم التلامذة الزيتونيين من مد يد المعونة باسعافهم بما يحتاجونه من كتب قيمة سواء اكان ذلك بطريق العارية ام بالمطالعة بمكتبتها طبقا ما هو مسطر ببرنامجها الاساسي المصادق عليه . ولقد اطلعت مشيخة الجامع الاعظم وفروعه بما لها من حق الاشراف عليها على نتائج من ذلك بما انلسج صدرها متمنية لها مزيد الترقي في سبيل تقدمها شاكرة لها جهودها ونشاطها المتزايد لاسيما ما امدها به بعض الفضلاء من المشايخ المدرسين بالجامع الاعظم من نصائحهم القيمه وتنشيطهم الفعلي مما يدل على كمال العناية بهذا المشروع

ومما الفت نظر المشيخة بصفة خاصة ما شاهدته من عناية اولئك المستعيرين باطلاعهم على الكتب المستعارة وتحرير نتائج تلك المطالعة بمحررات يقدمونها عند ترجيع الكتاب المستعار كانت من البعض محل اعجاب تبشر بحسن مستقبلهم الثقافي لما احتوت عليه من نقد وتحليل اذ اهم نتائج المطالعة هو التفكير وابراز ما يستنتجه المطالع في قالب التحرير وبذلك تقدمت الامم الراقية وان تلاحق العلوم بتلاحق الافكار وتباينت المراتب في تسنم ذرى المعارف وامتلاك التالد منها والطارف والله الموفق والهادي الا سواء السبيل وهنا نحيل الكلمة الى رئيس المكتبة والى الفضلاء السادة المشجعين لها في هذا الحفل نظما ونثرا حفظ الله جميعهم .



خطاب رئيس المكتبة

الشاب حمده سليم

يسرني ان ارحب بهذا الملا المبارك واشكر له هذا التضامن النبيل واذا ما تحتفل الكلية الزيتونية اليوم بهذا المظهر الذي تبرزه ممثلا في شخصية حضرة مديرها والسادات المدرسين واخواني التلاميذ فلانها تريد ان تعرض القوة الكامنة بين احضانها من حياة وعمل ونهوض

واذا ما قام الشباب الزيتوني بهذه الحركة يبني لنفسه ما وجده مهدوما ويخلق من عالمه ما انعدم ويزرع بيده ليحصد ورودا ويدفن الجهود ليتذوق حلاوة الثمرة الناضجة فلانه عرف المسؤولية التي افرده بها الواجب فحملها راضيا مغتبطا

واذا ما اردنا ان نهيب بمكتبة التلميذ الزيتوني وبموسم حصادها الاول فلاننا اصبحنا نؤمن بالثلمة العارية التي تعمل هذه المكتبة لسدها وبالقصور المشين الذي نحس به في انفسنا مضخما . وبالطموح الذي يبعثنا الى المعرفة الراسخة والتطلع الى ثقافة قوية تلقح ثقافتنا وتكمل ما بها من نقص

فلشبابنا اليوم قوة تصرخ في فم الدنيا : اننا الربيع الزاخر بالحياة واننا المشيئة التي لاتندثر وان ينبوع حياتنا كله في هذه المكتبة

سادتي : مرت هذه السنة العاجلة ولم تشغل مكتبة التلميذ الزيتوني من كاملها الا هذه الاشهر الثلاثة الاخيرة اظهرت فيها من النتيجة الملموسة في العقلية الزيتونية ما تركنا نؤمن بمستقبلها الذي يتوارى وراء مواكب السنين وجعلنا نعلن ان في هذه الاشهر الثلاثة صورة ناطقة من النجاح المنتظر . ومثالا قويا من العمل الدؤوب والنشاط الموصول وتعاون الجماعة يتخذه شبابنا مثلا سائرا وبقدم كمصادق واقع على تغير جديد في النفوس ونهضة قوية تنتظر

فالدارس لاثر هذه المكتبة في احصائياتها يرى ميلا نفسانيا في مختلف الفنون التي يتهافت عليها الزيتوني . ففي احصائية شهر ربيع الانور نرى عدد الكتب من فن الادب يفوق غيره من الفنون وفن التاريخ وفن الروايات في رتبة ثانية وثالثة بالنظر الى غيرهما من الفنون الاخرى التي يرى على الزيتوني اليوم انه غير ولوع بها كثيرا كالرياضيات والطبيعيات . وفي احصائية ربيع الثاني نرى فن الاجتماع في رتبة ثالثة وفن التربية والاخلاق يقوى عدده اكثر من الشهر الماضي . والدواوين الشعرية يكثر عدد طالبيها . وفي احصائية شهر جمادى الاولى نرى انحطاط الارقام في اودية الفنون المختلفة . ولعل هذا راجع الى دنو الامتحانات التي يتفرغ التلميذ الزيتوني لها تفرغا والناظر في نظامها والطريقة التي تسلكها هذه المكتبة لاعارة الكتب لا يملك نفسه ان يقول : « انها

تكاد تخرج بنظـامها عن صف المكتبـات الى صف المدارس الحديثة » يجد كتبها المختـارة التي تبلغ الخمسة عشرة مائة ونيفا زيـادة عما قسمت عليه من الفنون الصالحة للطالب الزيتوني مقسمة ثانيا الى تقسيمات روعي فيها درجة السنوات التعليمية بحيث اصبح الطالب على مختلف درجاته يستطيع ان يجد كتبا مفيدة تماشيه مع ذوقه وقرة تفكيره . ولقد خصصنا عنايتنا بالتلميذ المبتديء ليجد في مكتبة الاطفال الكتب السهلة المصورة التي تستميل مهجته الى حب المطالعة وتتدرج مع فكره النامي

واني اعلم لو اقتصرت مكتبة التلميذ الزيتوني على هذا التقسيم ، حده لكفاها القسط المطلـوب ولكنها ابت الا ان تخرج بنظام ممتاز لتربية النشء الجديد الذي لا نطلب منه الا ان يحس ويعبر عن احساسه الطبيعي .

ولعلك تستهـول ايها الزيتوني ما في هذا من كلفة تضيق بها فنظام مكتبتك لا يتعدى كتـابة ما تقرؤه لتبين لنا فهمك فيه واحساسك المتاثر . لقد غفل الطالب الزيتوني حينا من الزمن عن هذه الطريقة التي لها مكانتها من التربية الصحيحة . وكثيرا ما كشفت له عن عبوسة وجهها لدى عتبة الامتحان ولكنه تصامم واهمل قلمه حتى غشاه الصديد وبات يعرف ولا يعبر . ويحس ولا يفهم ، وكان الاخرس الذي يشقى ؛ وكان العيي الذي لا يبين . انك يا اخي لا تستطيع ان تاخذ مكانك الرفيع الا اذا قمت الى قلمك وصقلته وروضت لسانك واطلقته وفتحت قلبك للحياة . فلتسمع الى حقيقة المعرفـة ولنفهم ان ماهيتها ليست وجدها في الطبع وانما كلها في الرجع ولنرجع احاسيسنا من شك وايمان . ولنتخذ اقلامنا معبرا لهذا الترجيع وعند ذلك اومن لكم ايها الزيتونيين ولنفسي بالنجاح . ويسرني ان نطلعكم بعد هذا على ملاحظة شيخ الكلية على نتيجة المكتبة لتروا التطور الذي اكبره شيخنا في الكتابات التي تقدم الى المشيخة يقول فيها الطـال الله بقاءه :

« اطلعت مشيخة الجامع الاعظم وفروعـه على تحارير التلامذة المنخرطين في مكتبة التلميذ الزيتوني وتصفحت بعضها بغاية الدقـة فكان مجمـوعه يسر ويبشر بحسن مستقبل اولئـك المحررين لا سيما مسالة التفكير والنقد التي هي نتيجة اعمال الفكر وهو المطلوب من التلميذ الزيتوني . . . »

كما يسرني ان اشكر سادتي مدرسي الانشاء على ما تفضلوا به علينا من الملاحظات التي نبهتنا على خفايا لا يدركها الا مثلهم ، ونوايا افهمتنا اخلاصهم للعمل وتقديرهم لخدمات هذه المكتبة الناجحة

سادتي : ان المكتبة اليوم في سائر الكليات الركن العريض من العناية التي تحظى بها من جانب مديري الكلية والحكومة ذات النظر . ولها المساهمة الفعلية في توجيه التلاميذ الى مختلف الثقافات . وفن الانشاء الذي يضعف في كليتنا ليس بالعلم الذي يصبه مدرسه في دماغ التلميذ صبا وانما هو ذلك الفن الذي يسمو والذي لا يملك منه مدرسه الا الكيفية التي ياخذ بها المتعلم . ونجاح المدرس في هذا الفن مقصور على بعث الميل في نفـوس المتعلمين الى المطالعة التي تشاطر المدرس عمله الجاهد ، ونجاحه كله في اكثاره من المطالعة المنتجة ـ ان المستقبل يبشرنا بعهد جديد في عالم الكتابة ، وستكون مكتبة التلميذ الزيتوني الحقيقة الواحدة لهذا العهد . وستكون العضو الناشط ، والفرع القوي والمورد العذب الذي كان ينقص كليتنا عن كليات العالم وشبابنا عن شباب العالم .

صاحب الامتياز : محمد الشاذلي ابن القاضي

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ١٠٠

« في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ١١٠

مجلد المجلة عشرة اعداد

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت

ممضاة من امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

والمخابرات المالية تكون معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ تونس